الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإجتماعية

الشعبة: فلسفة

التخصص: فلسفة عامة

الرقم التسلسلي:...../ك.ع.إج.إن/ ق ع إج/2023

الخطاب الديني والسياسي في الفلسفة الحديثة

–باروخ سبينوزا أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في شعبة فلسفة تخصص: فلسفة عامة

من إعداد الطالبة:

عائشة طلحي

تحت إشراف الأستاذة:

مليكة عمرون

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية
طاهر مولف	رئيسا	أستاذ مساعد (أ)
عمرون مليكة	مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد (أ)
فاطمة فرفودة	ممتحنا	أستاذ محاضر (أ)

السنة الجامعية2022 - 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على نعمته وفضله الكريمين

الحمد لله الذي وفقني على إتمام مذكرتي وحقق لي ما كان بالأمس حلما

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة ومشرفتي على هذا العمل

الأستاذة "عمرون مليكة"التي لم تبخل علي بالنصائح والتوجيهات القيمة التي أفادتني في هذا العمل

كل الشكر والإمتنان إلى دكاترتي الأفاضل الذين رافقوني طيلة مشواري الجامعي

نشكر اللجنة الكريمة التي أكرمت علي بمناقشة هذا العمل وتقييمه

كل الشكر لزميلتي" ياسمين قمعون" على دعمي لإتمام هذا العمل .

الإهداء

قال الله تعالى:{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}.

(سورة المجادلة الآية 11)

أهدي ثمرة نجاحي طيلة الخمس سنوات في الجامعة إلى سندي في الحياة أبي وإلى

أمي سائلة المولى عز وجل أن ينعم عليهما بدوام الصحة والعافية

إلى أخواتي: "زينب،كريمة،ملاك " وإلى أخي "هشام"

أهدي هذا العمل إلى زوجي" دهيمي سفيان "

إلى صديقة الطفولة ورفيقة دربي من الإبتدائي " بلغالم مروة "

إلى من علمتني الفلسفة وشجعتني على خوض مضمارها أستاذتي في الثانوية

"مرزقان صليحة"

إلى أساتذتي الكرام الذين رافقوني طيلة مشواري الجامعي بجامعة –عباس لغرور

خنشلة– ولم يبخلوا علي بالعطاء

إلى تلاميذي الذين درستهم بالطور الثانوي

إلى كل من يدرس فلسفة

إلى كل من ساندني وشجعني في عملي ولو بكلمة طيبة.

مقدمة

مقدمة:

بالعودة إلى كرونولوجيا الفكر الإنساني عامة وإلى الفلسفات الأولى خاصة نجد أنها كانت تقدم لنا مجموعة من الدراسات والنظريات العامة والمتشابكة حول جل الإشكاليات التي كانت تعالجها، حيث في أواخر القرون الوسطى وبداية العصور الحديثة عرفت الفلسفة قفزة إبستمولوجية و بدأت في التحرر والتجرد من المواضيع في قالبها العام، حيث اشتغل فكر مرحلة القرون الوسطى والحديثة إلى حل كل معضلة فلسفية على حدى، ولعل من أهم هذه المشكلات مشكلة **الخطاب الديني والسياسي** الذي يشكل الجوهر الأساسي للفرد داخل مجتمعه حيث ظهرت هذه الأخيرة في الفكر الهولندي مع الفيلسوف"**باروخ سبينوزا**"الذي رفض الشريعة اليهودية المحرفة وأقر بأنها مخالفة لما جاء به النبي "موسى عليه السلام" قولا وفعلا من منطلق أن رجال اللاهوت جعلوا من الدين وسيلة لتحقيق غاية السلطة،هذا ما أدى به إلى الدعوة بضرورة الفصل بين **السلطة الدينية و السلطة السياسية**، في اعتباره أن **الكنيسة** تشكل حاجز أمام الحرية إذ ما تم استغلالها بشكل لا أخلاقي، فالحرية ليست قضية فلسفية بقدر ماهي مطلب إنساني تعبر عن وجوده وكينونته، بحكم أنها ليست وليدة العصر الحديث أو المعاصر أو الراهن فحسب، بل تمتد جذورها إلى بداية التفكير الإنساني وهذا ما جعلها تكون محور الدراسات الفلسفية عامة فكانت قضية فلسفية سبينوزية تتميز بالضرورة والحتمية التي تسير وفق مقتضيات وقوانين الله والطبيعة والعالم على اعتبار أنه لا يوجد شئ خارج من الإرادة الروحية الإلهية، حتى يتسنى لنا القول أن جل المجتمعات الإنسانية عملت على تحقيق مبدأ الحرية والتحرر والتكريس لها من مختلف أنواع الظلم والاستبداد وفي ظل ما يعيشه العالم اليوم من أزمات ومشاكل وحروب جيوسياسية، فلم تتوقف هذه الإشكالية على الفلسفة اليونانية فحسب بل امتدت إلى الفلسفة الحديثة، مع "**سبينوزا**" الذي أسس مشروعه الخطابي **السياسي والديني** وحاول رد الاعتبار للحرية والخروج بمجتمع سياسي راقي وعادل، بغية رد الأولوية لشخص الحاكم على رجل الدين إذ كانت دعوة هذا الفيلسوف صريحة ومباشرة وهي جعل الدولة أداة لحفظ وصيانة الحريات بمختلف أنواعها:**الفكرية،الدينية ، والسياسية**...الخ.

باعتبار أن **السياسية** تمثل ظاهرة إنسانية مرتبطة بالإرادة الإنسانية التي تحددها الحرية إلى جانب الأخلاق، إذ اشتغل "سبينوزا" على تجاوز الفلسفات التي تدعوا إلى ممارسة السلطة بالقوة كجدلية السيد والعبد مثلا وحاول إيجاد مخرج وحل لمشكلة العلاقة الديالكتيكية بين الدين والدولة في مؤلفاته: **رسالة في اللاهوت والسياسة، وعلم الأخلاق، ورسالته السياسية** فالفرد لا يستطيع العيش وسط جماعة تخضع لقانون الكنيسة والتعصب الديني اليهودي، فوجود الدولة في نظره مرهون بالحرية المطلقة إذ أن الإستغلال الأخلاقي للدين والدولة كفيل لوضع حد وحل للأوضاع السياسية والإجتماعية التي تعتريها الفوضى.

ومنه نطرح الإشكالية التالية:

من خلال الفلسفات السابقة انبثقت فلسفة جديدة حداثية تتمحور حول العلاقة الديالكتيكية بين الخطاب الديني والسياسي، **فإلى أي مدى تمكن "باروخ سبينوزا" من تجاوز هذه الفلسفات والتأسيس لخطاب فلسفي ديني وسياسي وعلماني و ذو بعد حداثي ؟**

و تندرج ضمنها مشكلات فرعية وهي كالآتي:

- ماهي الخلفيات الفلسفية التي أسست للخطاب الديني والسياسي؟

- كيف تناول الفكر الفلسفي الحديث إشكالية دياليكتيك الخطاب الديني والسياسي؟

- ماهو مضمون إشكالية نقد وتأويل النص المقدس عند سبينوزا؟ وماهي مبررات وحدود هذا التأويل؟

- ما غاية مشروعه السياسي ومبادئه؟وما طبيعة العلاقة بين هذا المشروع وبين الأخلاق؟

- إلى أي مدى يمكن تجسيد رؤيته كبراكسيس في ظل الصراعات السياسية التي يواجهها العالم الإنساني اليوم؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة كان لابد لنا من وضع خطة بحث تتألف من مقدمة وثلاثة فصول سابقين كل فصل بتمهيد وصولا إلى استنتاج وخاتمة لما تم التطرق إليه في موضوع بحثنا.

مقدمة: وهي الإحاطة الكاملة بالموضوع انطلاقا من الفلسفات الأولى وصولا إلى الفلسفة الغربية الحديثة مع الفيلسوف "**باروخ سبينوزا**" والذي أسس فيها لمشروع علماني حداثي مع طرح

إشكالية رئيسية ومشكلات فرعية، نأمل أن نجيب عليها من خلال الفصول التي تم التطرق إليها وهي كالآتي:

الفصل الأول: جينيالوجيا وأركيولوجيا الخطاب الديني والسياسي.

والذي يحتوي على مبحثين :

المبحث الأول: الخطاب بين النشأة والتطور: حيث تعرضنا فيه إلى مفهوم الخطاب من الناحية اللغوية والإصطلاحية كذلك تطوره ونشأته، والعناصر الأساسية المشكلة له.

المبحث الثاني: ديالكتيك الدين والسياسة في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث: وقمنا فيه بعرض مفهوم الدين والسياسة، وتحليل رؤى ومواقف بعض الفلاسفة المحدثين تجاه العلاقة الديالكتيكية بين اللاهوت والسياسة .

الفصل الثاني: الخطاب الديني عند "سبينوزا".

ينطوي بدوره على ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: فلسفة "سبينوزا": وذلك من خلال الإشارة إلى سيرته الذاتية ذاكرين مجموعة مؤلفاته، وجوهر الدين عنده.

المبحث الثاني: إشكالية تأويل النص الديني: والذي يتحدث حول فكرة ظهور التأويل ثم خصصنا الحديث عن التأويل السبينوزي من حيث المبررات والحدود وطبيعة العلاقة بين الدين والفلسفة عند "سبينوزا".

المبحث الثالث: نقد النص المقدس: وفيه أشرنا إلى المناهج التي إعتمدها "سبينوزا" في نقده للنص المقدس واضعا بذلك شروطا لقرائته مع التطرق إلى موقفه من النبوة والوحي والمعجزات.

الفصل الثالث: الخطاب السياسي السبينوزي.

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إرهاصات ظهور السياسة وتبلور فكرة الدولة العلمانية، مع الإشارة إلى الأوضاع السياسية في أوروبا عامة كمرجعية فلسفية انطلق منها "سبينوزا" ،ودولة العبرانيين آن ذاك خاصة.

المبحث الثاني:الفلسفة السياسية في فكر "سبينوزا" : وذلك بالتطرق إلى أهمية الدولة والفرق بين القانون السياسي والإلهي وكذلك الفرق بين الحق الطبيعي والسياسي، وذكر الشروط التي وضعها "سبينوزا" لقيام مجتمع إنساني.

المبحث الثالث: البعد الإيتيقي لعلاقة الدين والدولة:من خلال ذكر أنواع الأخلاق السبينوزية وماهية القواعد الإيتيقية لقيام أي دولة.

أما في الأخيرا **ختمنا** بحثنا بمجموعة من النتائج المتوصل إليها بالإضافة إلى تقديم نظرة إستشرافية ومستقبلية حول موضوع البحث.

إذ اعتمدنا **المنهج** التاريخي من خلال عرض كرونولوجيا الأفكار والأحداث الدينية والسياسية عبر حقبات تاريخ الفكر الفلسفي.

بالإضافة إلى المنهج التحليلي الإستنتاجي_لأن العمل يتطلب قراءة وتحليل أفكار الفيلسوف الواردة في الفصول والمباحث والمطالب وإستنتاج مواقفه من الخطاب الديني والسياسي.

والإعتماد على المنهج المقارن من خلال المقارنة بين "سبينوزا" والفلاسفة المحدثين في مسألة طبيعة العلاقة بين اللاهوت والسياسة.

إذ كان من وراء اختيارنا للموضوع **أسباب ودوافع** منها ما هو ذاتي ومنها ماهو موضوعي:

أ- الأسباب الذاتية:

- الرغبة في التعرف على جوهر الفلسفة الحديثة ومحورها.
- ميولنا إلى المواضيع الدينية والسياسية وما تطرحه من إشكاليات سوسيودينية.

ب-الأسباب الموضوعية:

- البحث على الجذور التاريخية الأولى لقضية الدين والدولة.
- محاولة تقديم حلول جديدة لمسألة اللاهوت والسياسة في حين أن واقعنا اليوم يشهد مجموعة من الانتهاكات الغير مشروعة سياسيا و أخلاقيا باعتبار أن السياسية موضوع ذو بعد إنساني وأخلاقي.

– محاولة إحياء فلسفة سياسية تدعوا إلى الحرية الإنسانية واثبات دور السياسة وأهميتها بالنسبة إلى اليومي.

وكان من وراء اختيارنا للموضوع مجموعة من **الأهداف** وهي كما يلي:

1– محاولة التعرف على فلسفة "سبينوزا" المتجلية في الخطاب الديني والسياسي وعلاقتهما بالأخلاق وفهم طبيعة العلاقة القائمة بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية.

2– التأكيد على مبدأ الحرية بأنها مطلب إنساني باعتبارها هي التي تحقق كيان الفرد داخل مجتمعه وتحفظ وجوده.

3– إبراز أهمية السلطة السياسية أو الدولة التي تمثل آداة لحفظ الحرية.

4– وصف الحالة الإجتماعية والتنبؤ إلى ما سيؤول إليه العالم الإنساني والبشرية في ظل غياب أي رقابة أو نظام سياسي ديمقراطي ليبرالي.

أما الدراسات السابقة وجدنا البعض من الدراسات التي تناولت الموضوع بعناوين ووجهات نظر مختلفة، لكن لم نجد الدراسات كما هو عنوان الموضوع بالتحديد و من بين هذه الدراسات:

_ رحال عباسية، **الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، (2014م–2015م).

• **إذ انطوت هذه الدراسة على مجموعة نتائج لعل من أهمها:**

– معارضة سبينوزا كل الفلسفات التي قدمت تصورات للوجود على أنها تمثل حقيقة العالم، ويضع بذلك الفلسفة في قوالب من المعارف الجاهزة التي تترجم حضور المعرفة الخيالية بما تحمله من أغاليط.

أما الدراسة الثانية فحملت عنوان:

1–عماري أيوب، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا**، دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه، تخصص فلسفة عامة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، الجزائر،(2016م–2017م).

•إذ حملت هذه الدراسة مجموعة نتائج لعل أهمها:

-فحص وحدة الوجود عند "سبينوزا" والتحليل بعناية لفلسفة طغت على المشهد الثقافي للفلسفة الحديثة.

-محاولة التجاوز التسامي وكذلك الشرح بين الثنائية الديكارتية والتعددية اللايبنيتزية فبالنسبة "لسبينوزا" أن الله والعالم ليس كيانين منفصلين، بل على العكس مترادفين فالإله هو الطبيعة.

* ومن خلال ما تم الاعتماد عليه من الدراسات التي حملت النتائج المشار إليها، الجديد الذي أضفناه إلى موضوع بحثنا هو:

- إشكالية تأويل النص المقدس عند الفيلسوف "سبينوزا" وحدود التأويل ومبراراته، كذلك طبيعة العلاقة الدياليكتيكية بين الدين والدولة، إضافة إلى تبيان دور الأخلاق وأهميتها في الحياة السياسية.

أما بالنسبة **للصعوبات** التي واجهتنا تتمثل في:

- فلسفة "سبينوزا" لا تطرح مشكلة توفر المصادر لأن كتبه تعد على الأصابع وإنما الصعوبة هي فهم المادة المعرفية وتحليلها لكون هذه الأخيرة أنها جديدة في قالب كلاسيكي.

- التشابك بين الأفكار والنسقية التي هي خاصية من خصائص الفلسفة الحديثة فلا يمكن الاعتماد على مصدر دون أخر، فالمسألة الدينية والسياسية والأخلاقية مثلت المحور الأساسي في كل مصادره لأنها معتمدة على المنهج الهندسي وطريقة البرهان بالخلف، إذ لا نستطيع قراءة مصدر واحد لفهم الفكرة من دون الرجوع إلى كامل المصادر بالإلمام بها.

- غموض بعض أفكاره حيث تتميز بنوع من الاستعارة والمجاز فتحتاج إلى قراءات متعددة، لذلك وجدنا صعوبة الفصل بين أفكاره الدينية والسياسية خاصة في الفصل الثاني.

-صعوبة الترجمة الفلسفية من بعض المراجع الفرنسية، والإنجليزية.

الفصل الأول:جينيالوجيا وأركيولوجيا الخطاب الديني والسياسي.

المبحث الأول: الخطاب بين النشأة والتطور.

المبحث الثاني: دياليكتيك الدين والسياسة في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث.

" **تزداد الكراهية إذا قوبلت بالكراهية، وعلى العكس فهي تزول إذ قوبلت بالحب**".

باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**،القضية43، ص189.

تمهيد الفصل:

يشتغل الخطاب على جانب من جوانب الحياة الإنسانية إذ يمكن تصنيفه إلى الخطاب الأدبي، الفلسفي،السياسي، وحتى الديني...إلخ، فحاولنا في هذا الفصل الإجابة عن جل التساؤلات الواردة في أذهاننا والتي قد لا تلاقي صدى أو إجابة في معظم الكتابات عن الخطاب بصفة عامة والخطاب الديني والسياسي بصفة خاصة،إذ يمكن الجزم أن الخطابات تتشابه و يرجع ذلك إلى عوامل عدة وهي تشابه الظروف بشتى أنواعها وتكرار الأزمات وهذا ما يدفعنا إلى طرح مجموعة من المشكلات التي هي كالأتي: **ماهي أهم المرجعيات والخلفيات الفلسفية التي أسست للخطاب الديني والسياسي؟ وكيف يمكن تحديد وضبط مفهوم الخطاب؟ و ماهي طبيعة العلاقة التي تربط بين الخطاب الديني والسياسي في الفلسفة الحديثة خاصة؟.**

المبحث الأول: الخطاب بين النشأة والتطور.

المطلب الأول: ماهية الخطاب:(Discourse)

تباينت التعاريف لمفهوم الخطاب باختلاف زوايا البحث والرؤى إذ نجد أن لكل فيلسوف تعريف خاص به، فيصعب علينا حصر وتحديد مفهوم محدد ودقيق للخطاب.

جاء في القرآن الكريم مفهوم **الخطاب** بصيغة المصدر والفعل في قوله تعالى:

"**{ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}**"[1].

فسر "**أبي الفداء ابن كثير**" الآية على أساس أن الله له ملكوت السماء والأرض ورحمته وسعت كل شيء ، فالخلق يوم البعث ويوم القيامة لا يتكلمون ولا يملكون الخطاب إلا بإذن عز وجل لأن ذلك هو يوم الحق وهذا ما جاء في تفسيره للقرآن الكريم حيث يقول في تفسير هذه الآية:" أن الله يخبر عن عظمته وعن جلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيها وما بينهما ولا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه"[2].

كما نجد أن مصطلح **الخطاب** تكرر أيضا في القرآن الكريم في كثير من الآيات وذلك في **سورة ص لقوله تعالى:**" **{ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}**"[3].

وقد فسر"ابن كثير" هذه الآية إذ قال:" هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل وهو قضاء الأمة إلى يوم القيامة"[4].و يعني الفصل هو الحكم في الأمر والجزم فيه.

أ- **الخطاب لغة:**عرفه ابن منظور في **لسان العرب** أنه:" الخطاب أو المخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان"[5]،

يعني أن الخطاب هو الكلام الذي يكون بين المخاطب والمخاطب.

---

[1] سورة النبأ، الآية 37.

[2] أبي فداء إسماعيل ابن عمر كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (د.ط) ، دار ابن حزم، بيروت،1420هـ،2000م، ص1955.

[3] سورة ص، الآية 20.

[4] أبي فداء إسماعيل بن عمر كثير، **تفسير القرآن العظيم**، المرجع السابق ص1603.

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، (د.ط)، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م، ص361.

كذلك نلمس تعريفات لغوية لمفهوم الخطاب إذ عرفه **بطرس البستاني** في "معجمه المحيط" على أساس أنه:" خطب المرأة، يخطبها، خطبة، وخاطب خطيبتي ودعاها إلى التزوج"[1].

يعنى هو التقدم ودعوة المرأة وطلب الزواج.

وقد ورد في موسوعة " **لالاند الفلسفية**" أن الخطاب هو:" عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة"[2].

يمكن أن نعتبره نشاط ذهني وعقلي يتضمن مجموعة من العمليات الأولية البسيطة.

أما عند "**المناطقة**" فنجد أن الخطاب هو:" قياس مركب من مقدمات مقبولة وظنية من شخص معتقد فيه، ويسمى هذا القياس خطابا وصاحبه خطيبا"[3].

بمعنى هو قضية تتكون من مواضيع شكية تعتمد على القياس والإستدلال بالدرجة الأولى.

وورد في **معجم الوسيط** أنه: " خطب الناس فيهم وعليهم خطابة، وخطبة ألقى عليهم خطبة ويقال خطب وده، فهو خاطب، خاطبه في الأمر حدثه بشأنه"[4].

وورد في قاموس "**دائرة المعارف**" أنه: " الخطاب ما يكلم به الرجل صاحبه"[5].

يمكن أن نعتبره هو الحوار الذي يدور شخصين حول موضوع ما.

كما نجد تعريف آخر " **للغويين**" إذ اعتبروه أنه:"رسالة أو رؤى بجملة كاتب أو متحدث، يعبر عنه وهو يرتبط من هذه الزاوية بفن الخطابة–أي الكلام المنشور–وبعلم البلاغة في عرض الأفكار بأسلوب مقنع من ناحية أخرى"[6].

---

[1] بطرس البستاني، **قاموس المحيط**، (د.ط)، مطابع تيوبرس، بيروت، لبنان،1987،ص240.

[2] أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ط2، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس،2001م،ص287.

[3] مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، (د.ط)، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007 م، ص298.

[4] إبراهيم أنس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، بيروت، لبنان،2004م، ص ص 242،243.

[5] محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، ط3، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م، ص707.

[6] عصمت النصار،**الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي نجيب محفوظ**، (د.ط)، دار العلوم بالفيوم، القاهرة، 2002م، ص03.

ب- اصطلاحا:

كثيرة هي التعريفات التي عالجت وحددت مصطلح الخطاب حيث تعددت مدلولاته وتعريفاته من فيلسوف إلى أخر كل حسب تصوره، ونرجح أن " **أفلاطون**" أنه أول من حاول وضع المفهوم الفلسفي للخطاب وشحنه بدلالته الخاصة، وذلك استنادا إلى قواعد عقلية محددة ، الأمر الذي يمكن معه التأكيد على أنه مع تلك المحاولة الأولى تبلورت ملامح الخطاب الفلسفي في الفلسفة اليونانية إذ يعرفه و**أرسطو*** أنه:

" الكلام المقنع الذي يستند على المبادئ الكلية الأولى البرهانية ، وكذا في اجتناب الأذهان واستمالة العواطف"[1].

حيث لم يتوقف تحديد مفهوم الخطاب على الفلسفة اليونانية عامة والتفكير الأرسطي خاصة بل تجاوز ذلك إلى الفيلسوف العربي "**ابن رشد**" الذي عرفه بأنه:" فن الإقناع الذي يسعى إلى التصديق وهو أقل من البرهان"[2].

يعني أن الخطاب فن راقي هدفه الصدق وقول الحق في دراسة الأمور المرتبطة بالواقع الإنساني،كما امتد هذا المصطلح إلى أوساط الفلسفة المعاصرة عامة والفرنسية خاصة مع"**ميشال فوكو**"* إذ عرفه بأنه: "إنتاج الأقوال والتصريحات التي يعتبرها المجتمع صحيحة بقدر مساندة سلطة الرأي العام القائد أو الجمهور لها "[3].

---

*__أرسطو طاليس Aristote__: (484 –322 ق.م) فيلسوف يوناني اشتهر بنزعته الواقعية، أسس مدرسة اللوقيون أو المدرسة المشائية ، له عدة مؤلفات من أهمها محاورة في خلود النفس، أغاليط السفسطائيين.(روني إيليا ألفا، **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب**،ج1 ،المرجع السابق، ص ص73 .74).

[1]عصمت النصار،**الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي نجيب محفوظ** ،المرجع السابق، ص 03.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

*__ميشال فوكو Michel Foucoult__: (1926م–1984م): فيلسوف معاصر حائز على شهادة التبريز في الفلسفة الحديثة ،علم في كلية الآداب في كليرمون قيران ، من مؤلفاته: الكلمات والأشياء، أركيولوجيا المعرفة.(روني إيليا ألفا، **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب**،ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1412 هـ–1992م، ص168).

[3] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، تر: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،1987م، ص76.

ما يمكن تحليله من تعريف "فوكو" للخطاب هو أن الخطاب ما يخدم السياسة وذلك عن طريق جملة من التصريحات السياسية التي يتقبلها المجتمع والتي تكون سائدة لسيادة ونظام حكم ذلك المجتمع،إذ تكون هذه التصريحات والخطابات تتماشى مع الرأي العام، بمعنى تتماشى مع الشعب لكون أن النظام السائد هو النظام الشعبي الديمقراطي.

كما عرفه **عبد السلام عبد الرزاق البيطار**:" هو وسيلة لإيصال رسالة ما من خلال مجموعة من الكلمات والمصطلحات الموجهة للأفراد بهدف تغيير الرأي العام أو الأفكار ومذاهب أو التحذير من قضية ما وشرح تعاليم ومبادئ"[1].

من خلال استعراضنا لهذا المفهوم يتبين أن الخطاب هو وسيلة تواصل من خلال التعبير عن الآراء والمواقف حول قضية تظم وتنظم ميادين الحياة بجميع أنواعها بهدف تفسير المواقف وشرح الأفكار والمبادئ، لذلك نجده عند **سارة ميلز**:

"الخطاب تواصل لغوي باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعل شخصين يحدد شكله، غرضه الاجتماعي"[2]. بمعنى هو طابع توجيهي منطوق أو مكتوب يتعلق بموضوع أدبي، فلسفي، سياسي، ديني...إلخ.

إذن: ما يمكن استخلاصه كتعريف جامع مانع لتحديد ماهية الخطاب هو أنه: أداة تفاعل وتواصل يتم داخل منظومة اجتماعية فهو ذلك الكلام الملفوظ أو المسموع أو المرئي أو المكتوب والذي يكون مكتوب بمنهج وبلغة واضحة، يحمل في طياته قضية تم الدفاع والتأسيس لها أو نقدها وتفنيدها، أو مقاربتها مع قضايا أخرى: دينية، سياسية، فلسفية، اجتماعية...إلخ.

المطلب الثاني: نشأته وتطوره.

بدأ الخطاب قديما مع الشعر فظهر فيما يعرف بفن الخطابة وقد نجح فيه العرب القدماء إذ كانوا يعبرون بهم عن حياتهم وحوادثهم الشخصية والمشاكل التي تحصل معهم في قالب خطابي، حيث أصبح اليوم من أكثر المفاهيم تداولا فهو قديم من حيث الإستعمال وجديد من حيث

[1] عبد السلام عبد الرزاق البيطار، **الخطاب السياسي في القرآن الكريم**، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2018م، ص32.

[2] سارة ميلز،**الخطاب**، تر: عبد الوهاب علوان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2016م، ص15.

المصطلح يهتم بالدراسات السيوسيولوجية المختلفة، في جل المجالات الحياتية إذ أن الممارسة الخطابية اليوم هي بعد من أبعاد البراكسيس الإجتماعي، وهذا ما أكد عليه **الشيخ علي محفوظ** حيث أقر: " تحسنت الخطابة في عهد القدماء اليونان والرومان– ففي اليونان ظهرت في دولتهم الأولى منازعات سياسة وحروبهم هي من أهم البواعث على تحريك لسان الخطاب ، وفي إلياذة هوميروس خطب كثيرة أوردها على لسان الآلهة والأبطال في القرن(10ق.م)"[1].

إلا أنه من الملاحظ أن الخطاب في القرن التاسع والعاشر ق.م (10.9) كان يحمل إسم الخطابة وكان يقتصر على الجانب الديني فقط وكان بمثابة عملية ترجمة لما تقوله الآلهة والأبطال إلا أنه لم يتوقف مع الرومان بل تجاوزت حتى الحضارة اليونانية مع "**جورجياس وأرسطو**، حيث قال**علي محفوظ:**

" أول من دون قواعدها ثلاثة من فلاسفة اليونان في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد:بروديكوس،و بروتاغوراس معاصره ثم جورجياس سنة (380ق.م)"[2].

نشأت الخطاب متعلقة بحد ذاتها بالخطاب كفن يمارس نشأت مع الحضارة اليونانية مع "بروتاغوراس" و"جورجياس"، إلا أنها لم تتوقف معهم هذه الخطابة،بل امتدت إلى "أرسطو"، وهذا ما ذكره **علي محفوظ** في قوله:

" وفي أواخر القرن الرابع سنةٌ(322.م) ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان فلم (يترك) شيئا من أصول هذا الفن إلا ودونه ونشر في كتابه(الخطابة) من هذا الحين صارت الخطابة فنا مدونا"[3].ثم بدأت في الحضارة الإسلامية مع "الرسول صلى الله عليه وسلم"،وتجاوزت العصر الجاهلي وهذا ما أكد عليه **الشيخ محفوظ:**

---

[1] علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**،(د.ط)، دار الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، (د.س)، ص20.

[2] المرجع نفسه ، ص21.

[3] إسماعيل محمد علي، **فن الخطابة ومهارات الخطيب(بحوث في إعداد الخطيب والداعية)**، ط5، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1437هـ–2012م، ص16.

"وابتدأ طور الخطابة يظهر بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم خطيبا غير شاعر، وأول موقف وقفه للخطابة فقد دعا قومه وهو على الصف"[1].

كذلك عرف فن الخطابة نوع من الاهتمام في العصر الإسلامي من طرف الفلاسفة العرب المسلمين مثل " **الفارابي**"[*] و"**ابن سينا**"، وهذا ما نوه إلى **إسماعيل علي** بقوله:

" وقد أتى ابن سينا في كتابه الشفاء بلب كتاب الخطابة لأرسطو مع تصرف غير ضار وبتقبل كتاب الخطابة لأرسطو صار في العربية قواعد للخطابة مدونة في بحث مستقل وإن كان جزء من علم المنطق على ما رأيت"[2].

يعتبر **ابن سينا** من أكبر شراح أرسطو حيث شرح كتابه الخطابة واستطاع أن يؤسسها كعلم مستقل بحد ذاته بعدما كانت تابعة للفلسفة اليونانية وللمنطق الأرسطي.

المطلب الثالث : العناصر الأساسية المشكلة للخطاب.

يتناول هذا العنصر أهم العناصر الأساسية التي تقوم عليها التحليلات الخطابية والمتمثلة في:

1- الخلفية التاريخية والثقافية للخطاب:

" والتي تكشف عن جدلية التفاعل بين مضمونه والبيئة الثقافية التي نشأ فيها وأشكال السلطة التي أحاطت به ومدى تحديه للمعوقات واستجابة الرأي العام والثقافة التابعة للرسالة"[3].

ما يمكن تحليله في هذا العنصر للخطاب هو أن الخلفية التاريخية والثقافية لهذا الأخير تحاول الكشف عن طبيعة العلاقة الديناميكية بين متن الخطاب وكذلك العلاقة الديالكتيكية بين

---

[1] علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، المرجع السابق، ص24.

[*] **الفارابي AlFarabi:(864 م – 950 م)** أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، درس المنطق والفلسفة والنحو والصرف لقب بالمعلم الثاني بعد "أرسطو"، له عدة مؤلفات: كتاب الجمع بين رأيين الحكمين (أفلاطون وأرسطو)، كتاب السياسة المدني فلسفة أرسطو طاليس.(جورج طرابيشي،**معجم الفلاسفة(الفلاسفة –المناطقة _ المتكلمون _ اللاهوتيون _ المتصوفون)**، ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2006م ، ص450).

[2] إسماعيل محمد علي، **فن الخطابة ومهارات الخطيب**، المرجع السابق، ص17.

[3] عصمت نصار، **الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي محمود نجيب**، المرجع السابق، ص08.

البيئة الثقافية والتي تعتبر كسبب نشأت هذا الخطاب، فتحاول هذه الخلفية أو المرجعية أن تحصر الصعوبات التي تواجه الخطاب ومدى تقبله وصداه لدى الأخر.

2- مضمون الخطاب وغايته:

"يتعرض للأفكار الرئيسية التي يتضمنها فيشرح بواعثها وأهدافها ومنهج صاحب الخطاب في معالجتها ومدى إيمانه بها، ومقدار نجاحه في إقناع المخاطبين بتفسيراته وتبريراته وتعبيراته لها"[1].

يتحدث العنصر الثاني حول فكرة ألا وهي فكرة الخطاب والهدف منه، فعندما نقول مضمون الخطاب نحن نقصد ما الذي يعالجه الخطاب؟ و الهدف من هذا الطرح الخطابي ؟ فمن البديهي أن فكرة الخطاب تعالج ضمن هدف معين يتماشى وطبيعة هذه الفكرة إذ يقوم المخاطب في تبين تلك الفكرة ومن ثمة الشروع في تحليلها مبينا أهم الأهداف إذ يسعى على الإتيان بحجج جد مقنعة لتلك الفكرة وللتأكيد عليها أو رفضها.

3- منهج الخطاب ولغته:

" ويقوم بتحليل البناء اللغوي كنص الخطاب للكشف عن سمات أسلوبه ونهجه في طرح الآراء وطريقته في بناء العبارات ومدى قدرتها في التعبير عن الأفكار الخطاب وتحقيق غايته"[2].

وهذا ثالث عنصر من مقومات الخطاب والذي يتمحور حول منهج الخطاب واللغة المكتوب بها هذا الخطاب لأن هذا الأخير يخضع لما يسمى التلاعب الحر باللغات، وهذا ما يكبح ويثبط العامل المنطقي وهذا ما نقدته ورفضته الفلسفة التفكيكية مع "جاك دريدا"، و " ميشال فوكو"، إذ يهدف التفكيك اللغوي والدلالي للخطاب عن كشف الأسلوب والطريقة في بناء الجمل وقدرتها في إيصال الفكرة وتحقيق هدفها.

---

[1] عصمت نصار، **الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي محمود نجيب**، المرجع السابق ، ص08.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها .

المطلب الرابع:أنواع الخطاب (الديني ،السياسي) .

تنوعت أنواع الخطاب للدلالة على تنوع الأساليب التبليغ و الإتصال المحددة فنجد عدة أنواع إلا أننا حددنا نوعين نظرا لطبيعة الموضوع واقتصاره على الخطاب الديني والسياسي وهما كمايلي:

أولا- الخطاب الديني:"(Religious Discourse) "

يصنف الخطاب الديني من بين التعبيرات الحديثة في مجال العلوم السيوسيولوجية حيث نال حضه الأوفر من الاهتمام ومن التعريفات وذلك باختلاف الديانات أولا، وباختلاف زوايا البحث والرؤى ثانيا، حيث أشارت بعض البحوث والدراسات المتخصصة في سوسيولوجيا الدين والأديان بصفة عامة لتعريفات مختلفة لعل من أهمها تعريف **إبراهيم البيومي:**

" هو الخطاب الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وهو الفعل البشري الهادف إلى التبليغ ونشر تعاليم الدين، أيضا دعوة الناس إلى الالتزام بأحكامه وتشريعاته"[1].

بمعنى هو النص الإلهي المتكون من القرآن الكريم والسنة الذي يهدف إلى نشر وتعليم أساسيات الدين ودعوة الناس إلى التدين.ويعرفه **أحمد كمال أبو المجد علي** أنه: " ما ينتجه الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتون والباحثون حيث يقدم إلى جمهور الناس،على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام عقيدته ونظامه الأخلاقي وشريعته"[2].

بمعنى أن الخطاب الديني هو تحصيل حاصل لآراء رجال الدين بصفة عامة إزاء قضية دينية ما تخص مجتمع ما بحيث يقدم إلى عامة الناس لا خاصتهم.

ويعرف أيضا على أنه:" ليس مجرد الخطابة التي تتلقاها من منابر المساجد في صورة خطبة أو موعظة، ودرس بل هو مجمل ما يصلنا من الأفكار أو تصورات بأشكال التعبير اللغوي كلها، مسموعا ومكتوبا وبوسائل التوصيل التقنية،أو المستحدثة جميعها وبتلك التي تتلقاها فرادي أو

---

[1] إبراهيم غانم البيومي، **تجديد الخطاب الديني في مصر**، تحليل آراء عينة من الجمهور،(د.ط)، المجلد2، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة،2000م، ص ص 215- 217.

[2] أحمد كمال أبو المجد، **حول الخطاب الديني المعاصر**، مجلة وجهات النظر، دار الشروق، العدد 38، القاهرة، 2003 م ص04.

جماعة"[1].بمعنى أن الخطاب ليس ذلك النص الملقى في الخطب الدينية في المساجد أو الكنائس،بل هو أوسع من ذلك وهو الأفكار اللغوية المسموعة والمكتوبة التي تعتمد على وسائل الإعلام والاتصال الحديثة،وورد تعريف أخر **للخطاب الديني** على أنه:" معالجة كل ما يرتبط بالإنسان وبحياته العملية، والإجتماعية والإقتصادية والوقاية من العلل والمشكلات المتوقعة بتوجيه المسلمين إلى ما فيه استمرار التطور والإزدهار والمثابرة في اتجاه الكمال"[2].

بمعنى أن الخطاب الديني هو ذلك النص الذي يعالج الحياة الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية، بهدف الأمن والحماية من المشكلات بغية التقدم والوصول إلى درجات الكمال.

آلياته:

الخطاب الديني هو الخطاب الذي يكون فحوى مضمونه هو النص المقدس باختلاف الأديان لكونه يستمد مرجعيته منها،و يستند هذا الأخير إلى آليات تضبطه وهي:

أ- **التوحيد بين الفكر والدين :**

وذلك عن طريق: " إيمانه بتوحيد التعامل مع الفكر والدين وهذا راجع إلى عدم التمييز بين مصدريهما، فالمعروف أن الدين وحي إلهي محدد الأركان وثابت الحدود والمعالم، بينما يعتبر الفكر اجتهاد بشري محض يحتمل الخطأ والصواب، له حقيقة ومنطلقات وأدوات ووسائل"[3].

فيعتبر الخطاب الديني أن العقل البشري والديني شيء واحد وهذا يشبه الطرح الذي يتبناه "**سبينوزا**"في فكرة وحدة الوجود إذ اعتبر أن الله والطبيعة شيء واحد، فهذا الخلط بين الفكر والدين راجع إلى تصور في طبيعة المنهج الفكري حيث أن هذا الجمع يهدف إلى تضييق وإخفاء الحقيقة وتزيفيها وامتلاكها لخدمة مصالح الدين الشخصية إذ أن الخطاب الديني يزعم امتلاكه للحقيقة

[1] جابر محمد عبد الموجود، **اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني**، مجلة البحوث الإعلامية، العدد18، جامعة الأزهر، القاهرة، 2002م، ص70.

[2] عفت محمد الشرقاوي، **الفكر الديني في مواجهة العصر دراسة تحليله للاتجاهات النفسية في العصر الجديد**، ط2، دار العودة، بيروت،1979م ، ص101.

[3] محمد إقبال، **تجديد الفكر الديني في الإسلام**، تر: محمد يوسف عدس، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،2011م، ص87.

وتجاوز ذلك حتى امتلاكه للسلطة وهذا ما أدى "**بباروخ سبينوزا**" إلى التأسيس لفلسفة علمانية، وينتقد سلطان الدين ويفصل بين الدين والدولة.

ب- رد الظواهر للمبدأ الواحد:

يقول **ماجد العزباوي** في كتابه **إشكاليات التجديد:**" إن الخطاب الديني في توظيفه لهذه الآلية يعتمد وقبل كل شيء على ذلك الشعور الديني العادل فيوظفها على أساس أنها مسلمات العقيدة التي لا تناقش لأنها تقدم على إرجاع الظواهر كلها إلى الله"[1].

وذلك عم طريق إرجاع كل الظواهر إلى الله باعتباره هو المبدأ الواحد والثابت.

ثانيا - الخطاب السياسي: "(Political Discoures) ":

يعتبر الخطاب السياسي من أكثر الخطابات الحديثة والمعاصرة، تأثيرا إذ يعود ذلك لعلاقته بالوسائل التي تتيح له سهولة النشر، فقد أخذ حقه من التعاريف الاصطلاحية نذكر منها: " هو القدرة على النظر في كل ما يصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل وهو نوع من فنون الكلام غايته إقناع السامعين وإستمالتهم والتأثير فيهم بصواب القضية أو بخطأ أخرى وهو أيضا علم يقتدر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلطة لإقناعهم وإستمالتهم"[2].

فالخطاب السياسي هو النص المعبر عن علاقة السلطة بالمجتمع من خلال تحديد الإشكالية السياسية وتشخيص حلول لها في محيط اجتماعي معين،إذ يلعب دورا هاما في بلورة التفكير والوعي من خلال النبرة التخاطبية بالطرق البرهانية، حيث أن لهذا النوع من الخطاب مميزات عامة ينفرد بها ألا وهي: " من أكثر الخطابات المرتبطة بظروف الواقع الخارجي، يعتني بمضمون الفكرة من حيث يأتي في مرحلة اللغة فهو موجه إلى مقصد إقناعي وإلى مد نفوذ صاحبه وتحقيق

[1] ماجد العزباوي، **إشكاليات التجديد**، ط1، دار الهدى، بيروت،2001م، ص53.

[2] عبد الله الراشد العرقان، **الخطاب السياسي الأمريكي اتجاه العراق**، مجلة الدراسات وأبحاث العربية في العلوم الإنسانية، العدد 03، المجلد 10 ،(د.ب)، سبتمبر2018م، ص38.

أهدافه، وقيمه وليدة الظروف والمصالح والاتجاهات والنفوذ فهي ليست ثابتة كالخطاب الديني ويفتقد إلى المصداقية فالمصداقية هي كل ما تفرضه السلطة وتراه صوابا "[1].

فالخطاب السياسي يتميز بالعديد من المميزات التي تجعل منه خطابا يقوم على الإقناع مع عدم توفر المصداقية كشرط له مع توظيفه للوسائل اللغوية والمنطقية والاعتناء بمضمون الفكرة.

المبحث الثاني: ديالكتيك الدين والسياسة في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث:

إن مسألة العلاقة بين الدين والدولة إحدى القضايا الأساسية في المجال الإجتماعي، وذلك على مستويين مستوى التنظير ومستوى التطبيق أو البراكسيس فيمارس الدين دورا مهما في إصلاح الرأي السياسي العام في كافة الدول ومن الملاحظ أن طبيعة العلاقة بينهما تختلف من مجتمع إلى آخر ومن عصر لآخر، وذلك تبعا لدورهما في الحياة كذلك وخصوصية كل مجتمع، وفق الأنظمة السياسية لكل كيان سياسي فضلا عن مكانه الدين في السياسة وتأثيره على بعض المجتمعات، حيث كان هناك نوع من الشحنات بين المذاهب الفلسفية الحديثة، وذلك في إشكالية طبيعة العلاقة الديالكتيكية بين الدين والدولة أو السياسة، إذ يمكن التمييز بين الإتجاهات الكبرى والرؤى التي حددت طبيعة هذه العلاقة أولها خضوع السياسة للدين، وبالتالي استنباط القوانين السياسية من الدين، أما الرأي الثاني القائل بضرورة فصل الدين عن السياسة من منطلق أن لكل منهما مجاله الخاص، لكون أن المجال السياسي غير منظم من طرف الإله واعتبروا أن الدين مجرد وسيلة يستعملها الحاكم لتحقيق منفعة أومصلحة شخصية بالدرجة الأولى.

وقبل الإشارة إلى ضبط طبيعة العلاقة بينهما لابد من تحديد ماهية كل من مصطلح **الدين** و**السياسة:**

[1] الزواوي باغورة ، **بين اللغة والخطاب،مقاربة فلسفية اجتماعية**، مجلة إنسانيات، العدد17، مراكز البحث الأنثروبولوجية الاجتماعية الثقافية، وهران، ديسمبر 2002م، ص ص 34-47.

المطلب الأول:ماهية الدين (Religion) و السياسة (Polticis):

أولا: الدين: (Religion)

يشير إلى العديد من الدلالات اللغوية ويعود ذلك إلى تعدد الأديان وتعدد وجهات النظر في المجال الديني، إذ من الصعب حصره في تعريف واحد.

إذ يعرف على أنه: " الدين جملة من الإدراكات والإعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها لأوامره"[1]. بمعنى الدين هو الإعتقاد الجازم والإيمان بوجود الشيء.

قد ورد تعريف الدين أيضا عند **مصطفى حسيبة** الذي عرفه بقوله:" الدين من دان، وخضع وذل، ودان بكذا، فهي ديانة، وهو دين وتدين به متدين، والدين إذ أطلق ما يراد به ما يتدين به الرجل من اعتقاد وسلوك، بمعنى آخر هو طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من أفكار ومبادئ"[2].

أي أن الدين من التدين، وهو تطبيق لما جاء في الدين.

كذلك نلمس تعريف آخر لمفهوم الدين وهو ما ورد في **معجم التعريفات** وهو:" الدين والملة متحدان ومختلفان بالإعتبار فإن الشريعة من حيث أنها تطاع، ومن ناحية أنها تجمع يسمى الملة"[3].

عرفه أيضا **إبراهيم مذكور** بأنه:" مجموعة من معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة يسد حاجات الفرد والمجتمع على حد السواء. أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه"[4].

أي أنه عبادات عقلية مقدسة لمجموعة أفراد.

ويعرفه **مراد وهبة** على أنه:" ظهر هذا المصطلح في القرن 18، ويدور على الإيمان بوجود الله وخلود الروح وانتقاء الوحي"[5].

بمعنى الدين هو مصطلح حديث مضمونه العام هو الإيمان بالله والوحي والروح.

---

[1] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، الجزء1 ، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982 م، ص572.

[2] مصطفى حسيبة،**المعجم الفلسفي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان،2009م، ص221.

[3] محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، (د.ط)، دار الفضيلة، القاهرة، 1413م، ص92.

[4] إبراهيم مدكور،**المعجم الفلسفي**، (د.ط)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر،1403هـ-1973م، ص86.

[5] مراد وهبة، **المعجم الفلسفي** ، المرجع السابق ، ص 317.

ثانيا: ماهية السياسة: (Polticis)

برزت السياسة كمجال أساسي تحدد أشكال التنظيم الإجتماعي داخل الدولة تهدف إلى خلق نوع التوازن والإنتظام، فهي كذلك اختلفت التعريفات حولها عرفها **مراد وهبة** بأنها: "المصطلح الأجنبي مشتق من اللفظة اليونانية poliéia، بمعنى الدولة أو الجمهور أو الدستور"[1].

هي مصطلح يوناني الأصل تعني جماعة أو كيان من الأفراد يعيشون في مجتمع واحد يحكمه نظام يسمى بالدستور تتمتع هذه الجماعة بمجموعة حقوق وتؤدي واجبات

ويعرفها **سبينوزا:** " من بين جميع العلوم القابلة للتطبيق فإن علم السياسة هو العلم الذي يشهد أكثر تباين بين النظرية والتطبيق ولا ترى أشخاصا أقل تأهلا لسياسة الدولة من المنظرين أي من الفلاسفة"[2]. بمعنى هي علم تطبيقي ولا بد من أن تكون من اختصاص الفلاسفة.

يعرفها **جميل صليبا:** " السياسة مصدر ساس،وهي تنظيم أمور الدولة وتدبير شؤونها وقد تكون شرعية وقد تكون مدنية"[3].

بمعنى هي الإهتمام بأمور الدولة وهي نوعان شرعية ومدنية.

و يعرفها **إبراهيم مدكور:**" هي فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة أول من عني به فلاسفة اليونان أفلاطون في كتابه الجمهورية و أرسطو في كتابه السياسة، وعني به فلاسفة الإسلام الفارابي في المدينة الفاضلة ومن المحدثين توماس هوبز* في كتابه التنين،ويعتبر أرسطو واضع الأساس للنظريات الحديثة للحكم"[4].

يعتبر **أرسطو** مؤسس لهذا العلم في كتابه "**السياسة**" الذي يبحث عن بنية النظام الإجتماعي الأساسي بدءا من أصل النواة في المجتمع ألا وهي الأسرة ثم المدينة ومنه الدولة.

---

[1] مراد وهبة، **المعجم الفلسفي** ، المرجع السابق ، ص352.

[2] جلال الدين السعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، (د.ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م ، ص247.

[3] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص 679.

*__توماس هوبز:Thomas Hobbes (1588م-1679م)__ فيلسوف إنجليزي تمسك بآرائه الفلسفية فيما يخص أولوية الدولة على الكنيسة من مؤلفاته: مخطوطة التنين، رسائل في الحرية والضرورة. (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**،المرجع السابق، ص708).

[4] إبراهيم مدكور ،**المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص99.

إذ ورد تعريفها في **القاموس السياسي** على أنها:" أصبح لفظ السياسة يستخدم بمعنى فن الحكم والقواعد المنظمة للعلاقات بين الدولة وغيرها من الدول أو المنظمات الدولية يدخل في النطاق الدولي والدبلوماسي كما تشمل هذه الدراسات النظام الداخلي في الدولة والأساليب التي تستخدمها التنظيمات الداخلية كالأحزاب السياسية في إدارة شؤون البلاد والوصول إلى مقاعد الحكم الشرعي"[1].

المطلب الثاني: العودة إلى الدين بالعودة إلى السياسة(الربط بين الدين والدولة):

يرى الكثير من الفلاسفة أن الدين والسياسة بينهما علاقة اتصال واتفاق من منطلق أن:

" طغيان النزعة الفردية،حيث يرى النموذج الحديث الغربي أن الدين نظام من المعتقدات الشخصية المرتبطة بالفرد ولا يتخطى إلى الجماعة أو المجال العام في حين أن المجتمعات الغير غربية يلعب فيها الدين دور على أساس اعتباره نمطا للحياة ينظم المجالين الفردي والجماعي الخاص والعام"[2].

إذن يمكن أن يعتبر الدين هو المنظومة القيمية التي تسعى إلى تقييم وتوجيه سلوك الفرد والجماعة داخل المجتمع،إذ يكمل **محمد السعدي** قوله: " فشل سياسات التنمية والتحديث التي اتبعتها دول الجنوب،وما ترتب عنها من انتشار للفساد بكافة صوره،مما ساهم في طرح الدين كوعاء ينظم المجالات الثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، بمعنى آخر النظر إلى الدين على أنه يلبي الحاجات الروحية من ناحية والحاجات المادية في المجالات الإجتماعية والسياسية والثقافية من جهة أخرى"[3].

يعمل الدين على اكتساب نوع من القوة والمتانة في جميع مجالات الحياة وهذا ما أكد عليه **جان جاك روسو** في قوله:" الدين هو مملكة ويسوع مملكة روحية يفصلها النظام اللاهوتي عن النظام

---

[1] أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة،1968 م، ص668.

[2] محمد سعدي، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة الإسلام**، سلسلة أطروحات دكتوراه، العدد58، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،2006م، ص93.

[3] محمد سعدي، **مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة الإسلام**، سلسلة أطروحات دكتوراه، المرجع السابق، ص96.

السياسي وبهذا الفصل يقضي على الوحدة الداخلية للدولة،فقد أقضت ازدواجية السلطة إلى نزاع أبدي الإختصاص وخضع البشر لتشريعات مختلطة:قانون ديني،قانون مدني، رئيس ديني ورئيس مدني"[1].

هذا الفصل حسب **جان جاك روسو**، يجعل الفرد في صراع فكري حول من يتبع ومن هو الصائب هل هو رجل الدين؟ أو رجل القانون؟ حيث تكون له صعوبة في الإختيار على أن يكون رجل ديني مؤمن أو يكون رجل سياسي حيث هذا ما رفضه **روسو** في قوله: "إن كل ما يفرق الوحدة الإجتماعية لا قيمة لها وجميع المؤسسات التي تضع الإنسان في تناقض مع نفسه لا قيمة لها"[2].

لذا لابد من الجمع بين الدين والدولة لتتشكل بما يسمى دين المواطن وهو بمثابة تحصيل حاصل لهذه العلاقة ويقوم هذا الأخير على :" دين مدون في بلد وحيد يمنحه آلهة وشفاؤه الخاصون وحماته إن له عقائده وطقوسه وعباداته الخارجية المفروضة بقوانين"[3].

وهكذا تصبح الأديان كلها من وجهة نظر "**روسو**" مبنية على السلام فالدين الحقيقي هو الذي يدعوا إلى السلم ومنه الشعور بالحب والسعادة لأن السلم قيمة ايتيقية ومنه لا يوجد انفصال بين ماهو أخلاقي وماهو ديني فالأساس واحد سواء أكان في الأخلاق أو الدين ويجدر بنا الإشارة إلى أن **الفلسفة اليهودية السياسية** في العصور الوسطى أيضا لم تتحدث عن قوانين الطبيعة إلا بنسبة ضئيلة في البداية، فدارسها يجد أنها كانت تعتمد على السلطة الروحية والكتاب المقدس في تنظيم شؤونها إذ ذكر: **ليوشتراوس** أن:" الفلسفة السياسية اليهودية في العصور الوسطى اتخذت صورة القانون بدلا من العقيدة أو الإيمان كما أن قارئ الأسفار الخمسة يستطيع أن يهدف إلى تعيين وتنظيم سلوك ومعتقدات جماعة بأكملها بالتفصيل الدقيق، تنبثق من مناقشة وتفسير الكتاب

---

[1] Jean Jacque Rousseau, **The Social Contract and Discourse,**Trausintr By GDH Col, Everyman, Slibray, New York, 1978, p272.

[2] Ibide, p272.

[3] فريال حسن خليفة، **الدين والسياسة في فلسفة الحداثة**، (د.ط)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص103.

المقدس والخصائص الرئيسية للقانون الإلهي،ومعنى الألفاظ معينة في الكتاب المقدس والصياغة النسقية الجديدة للتشريع اليهودي والدفاع عن اليهودية"[1].

الفلسفة اليهودية جازمة لأمر العلاقة بين الدين والدولة وتعتبر أن مصدر التشريع هو نص الكتاب المقدس فقامت بتفسيره وتأويل ما يتضمنه من قوانين لتنظيم المجتمع اليهودي،وعلى الإنسان أن يناقش موضوعات القانون بادئا من فهم الموجودات التي وضع من أجلها هذا القانون في قول **ليوشتراوس:**" إذا كان على المرء أن يناقش موضوعات القانون وطابعه فإنه ينطلق من فهم الموجودات التي وضع من أجلها القانون...إلخ،إن الإنسان وحده هو من بين كل الأنواع حيوان سياسي إن شئنا أن نتحدث بدقة صحيحة أن هناك بالفعل حيوانات بصنفها بأنها اجتماعية، لكن لا أحد من الحيوانات سوى الإنسان يحتاج إلى التأمل أو النظر لكي يبقى وإذ ترك الإنسان لكي يعيش حياة الحيوان فإنه يهلك"[2].

الإنسان كائن اجتماعي يعيش داخل منظومة اجتماعية يؤثر ويتأثر وهذا المجتمع يحكمه قانون ديني حسب وجهة نظر اليهودية فيجب عليه أن يتنزه ويتخلص من الصفة الحيوانية ويرقى إلى صفة الإنسانية ويتأمل في الدين ومصادره ويعمل عقله على استنباط الأحكام القانونية من الكتاب المقدس لأن: " القانون الإلهي يهدف إلى ضمان غايتين هما: صلاح البدن وصلاح النفس أو بمعنى أخر التنظيم الجيد للمجتمع وتحصيل آراء صحيحة ومعرفة صحيحة عن طريق التأمل والنظر"[3].

نفهم من هذا القول أن القانون الإلهي يكفل معالجة المسائل السياسية المتصلة بالناس ويكفل معالجة صلاح الجسم والروح وهذا القانون هو **النص المقدس** لأنها حسب وجهة نظر **ليوشتراوس** هي : "مستودع كل المعلومات الضرورية التي تتصل بحكم المنزل والمدينة فليس هناك حاجة إلى

---

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديدس حتى سبينوزا**، تر:سيد أحمد، د.ط ، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م ، ص 336 .

[2] المرجع نفسه، ص337.

[3] المرجع نفسه، ص345.

الاتجاه إلى الأعمال الفلاسفة للتوجيه"[1]. ومنه القانون المؤله هو أرقى من قانون الفيلسوف وأقدس منه لأن الفيلسوف أدنى قيمة من النبي أو المشرع أو رجل الدين، فالقانون الذي يقدمه النبي يفوق قانون الفيلسوف بصورة مطلقة تماما.

كذلك رؤية "**جون بودان**": **(1529-1596)**: الذي رفض الفصل بين الخير المطلق والدولة ونقد **ميكيافلي** وأقر بأن: " القانون هو ما يأمر السيد به عندما يستخدم قوته وأنه عدم الخلط بينه وبين الحق الذي يتضمن الإنصاف ولا شيء غيره وليس أمر السيد"[2].

إذ يرفض "جون بودان" محاربة حجج المناهضين للملكية وكذلك تأسيس السيادة على الشعب أو الجماعة الذي تقبل بشروط الأمير كما يرفض اللجوء إلى القانون الوضعي،فالملك حسب رأيه يتعين مباشرة من طرف الله وبدون أي سلطة الكنيسة أو الشعب، وإن أي عصيان لهذا الأمير أو الملك أو التمرد عليه يعتبر كفرا ويمكن القول أن "بودان" لم يرفض الإلزام السياسي فالسيادة في نظره مصدرها الله،فهي موجودة لأنه هو من أوجدها فهي ملازمة له وللطبيعة ومتصلة بالعالم الخارجي.

أما رؤية "**توماس هوبز**"(1588م-1679م) أراد أن يصل بالسياسة إلى اليقين الرياضي إذ أراد أن يقيم دولة يخضع لها الدين و أكد على ضرورة خضوع الدين للدولة وهكذا "اختفت الإزدواجية التي كانت قائمة في العصور الوسطى بين السلطة الزمنية أو سيطرة الدولة بما فيها من قوانين على اعتبار أن الإيمان مسألة داخلية خالصة لا يستطيع أحد أن يسير ولا أن يقف على حقيقتها سوى شخص المؤمن نفسه"[3].

---

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية** ، المرجع السابق، ص349.

[2] جان جاك شوفاليه، **تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية**، تر: محمد عرب صاصيلا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،1413هـ-1993م، ص286.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، **الأخلاق والسياسة**، (دراسة في فلسفة الحكم)،(د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ،2002م، ص ص 279- 280.

ومصدر التشريع المدني أو السلطة الزمنية هو الله أو الدين أو السلطة الروحية ومنه فالدين ينظر للقانون، والسيادة ما عليها إلا أن تطبق هذا القانون لضمان التوازن والعدالة والأمن الاجتماعي بين الأفراد داخل كيان الدولة لتحقيق ما يسمى بالعيش المشترك، فيقول **هوبز:**

" إن أوامر صاحب السيادة المدني هي وحدها التي تحدثنا وبصورة ملائمة التي سميت قوانين، ومع ذلك فإن القوانين من ناحية أن الله قد أمر بها في الكتب المقدسة قد سميت قوانين"[1].

ويلخص " **هوبز**" وظيفة المسيح إذ قسمها إلى الإخلاص والتعليم في الدنيا والملكية في الحكم في العالم الآخر لأن المبارك حسب رأيه لو طبقت قوانينه الدينية في أرض الواقع تصدم مع قوانين الدولة اليهودية وهذه القوانين بالنسبة إليه هي أرقى من أن تنزل إلى العالم الدنيوي لأن الكنيسة لا تؤمن بالمسيح، إضافة إلى أن هناك من يدعي أنه كاهن وآمر ،والأخر كافر لا يؤمن بالمسيح وتعاليمه الدينية،" الدولة عند هوبز هي كل شيء فلا دين بدون دولة إذ يطلق عليها لفظ التنين الجبار"[2] .

أما القانون لهذه الدولة هو الصادر عن الله، يقول **توماس هوبز:** " أما القانون الإلهي Divine Law،هو ذلك الذي يصدر عن إرادة الله بل ويمكن أن يكون القانون الطبيعي of NatureLaw،صادر عن الله على الرغم من أنه لا يعتمد مباشرة على الأمر الإلهي،ولكن على مجموعة من المبادئ المؤسسة على العقل والأمر الإلهي المباشر الموجه لشخص معين أو لمجموعة معينة يكون بمثابة القانون الصحيح ويمكن تسميته بالقانون الإلهي الوضعي Divine positive Law "[3].

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية** ، المرجع السابق، ص580.

[2] زكي نجيب محمود وأحمد أمين،**قصة الفلسفة الحديثة**،(د.ط)، هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 1936م، ص57.

[3] المرجع نفسه ، ص ص 22، 23.

المطلب الثالث : علمانية الدولة (الفصل بين الدين والسياسة)

رؤية **كارل ماركس*** رؤية علمية يقدم من خلالها تصور مادي لمعتقدات الإنسان الدينية،حيث يكشف عن الأصول الكرونولوجية للدين إذ يعرف الدين على أنه: " منتج اجتماعي شأنه شأن السياسة والفن والأخلاق والقانون، إنه شكل من أشكال الوعي الإجتماعي، وهذا الوعي الإجتماعي هو الوجود الواعي للبشر وهو متطور وحياتهم الواقعية"[1] .

البشر عند **كارل ماركس** هم منتجو تصوراتهم وأفكارهم وقوانينهم وأخلاقهم ودينهم....الخ إذ ينقد تصور **فيرباخ** للدين لأن: "فيرباخ لم يرى الدين كمنتج صناعي بل أدخل ماهية الدين في ماهية الإنسان ولم ينظر إلى ماهية الإنسان كماهية واقعية- كعلاقات اجتماعية-،بل نظر إليها كماهية مجردة للفرد لذلك سقط فيرباخ في التجديد وفهم الإنسان فهما مجردا ولم يلتفت إلى العمليات التاريخية في فهم الدين"[2].

الدين هو الوعي الذاتي لداخلية الإنسان لأن الإنسان ليس كائن مجرد خارجي، بل هو يعيش في نطاق مجتمع يحكمه دولة ونظام سياسي فالإنسان هو الدولة والوطن والمجتمع هو تحصيل حاصل لهذه الدولة وهذا المجتمع ، فالأديان ماهي إلا مرآة عاكسة للواقع في تفكير البشر فيصبح الدين هو وسيلة تكفل الأمن والحماية للبشر من الظلم والطغيان السياسي، فإذا تساءلنا عن وظيفة الدين هو أن الدين يقوم بوظيفة جوهرية إذ أصبح وسيلة تحقق غاية حيث اعتبره **كارل ماركس** أنه "**أفيون الشعوب**"[3] .

---

*__كارل ماركس Karl Marx(1818م-1883م)__: فيلسوف ألماني، سياسي وصحفي ومنظر اجتماعي قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته في الرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية.(مصطفى حسيبة،**المعجم الفلسفي**، المرجع السابق،ص496).

[1] Karl Marx and Engeles, **On Religious,** Selmochenn Books, New York, 1971, p74.

[2] ibid,p71.

[3] دانيال هيرقة لجيه ، جان بول ويلام، **سيوسيولوجيا الدين**، تر: درويش الحلوجي، (د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص19.

فرؤيته للدين تظهر في أن:" الدين يصبح أداة للكبت والإضطهاد في يد السيد سواء أكان هذا السيد فردا أو نظاما سياسيا والوظيفة الثانية تظهر عندما يكون الدين صرخة المضطهدين والآلام والأحزان الدينية هي الوقت عينه تعبير عن الآلام الحقيقية واحتجاج ضدها"[1].

عرف " **ماركس**" الدين بأنه هو التخلي والابتعاد عن الأوهام والخيال الذي من شأنه أن يوقع الإنسان في أخطاء الفكر مع نفسه أو مع الواقع، فأول شرط من شروط المطالبة بالدين هي التجرد والتحرر من الوهم كذلك يضيف **كارل ماركس** شرط آخر وهو عدم توجيه أي نقد سلبي للدين لأن نقد الدين هو بالضرورة نقد لسلطة الإله، يقول **ماركس:**

" الدين هو المطالبة بأن يتخلى الشعب عن الأوهام الخاصة،بوصفه ذلك يعني المطالبة بأن يتخلى عن وضع يحتاج إلى الأوهام فنقد الدين يتحول إلى نقد القانون"[2].

لقد اعتبر **ماركس** أن الدين واقع ناتج عن ظروف مجتمع معين فهو احتجاج عن البؤس والإضطهاد والحرمان الذي يعيشه الفرد داخل مجتمعه ومنه الدين ليس وهم، إذ يقال في موضع آخر:" يشرح ماركس في نقده لفلسفة القانون عند هيغل فلأمر يتعلق بتركيز التحليل والنقد ليس على الدين وإنما على المجتمع الذي ينتج الوهم الديني ويحتفظ به"[3].

فالحاجة إلى الدين هي نفسها الحاجة إلى التعبير عن الواقع لأن الدين جزء من الواقع وهو المعبر عنه وعن أصوله وهو ركيزة المجتمع، والإنسان هو الذي صنع الدين وليس الدين هو الذي صنع الإنسان إذ أن **ماركس** يعلن في هذه القضية على أن الدين هو المبدأ الذي ستأخذ به العلوم الإنسانية والإجتماعية في العديد من الجوانب خاصة المتعلقة بالعلاقة المتواجدة بين الدين والعلوم الإنسانية كعلم السياسة وأساليب الحياة المرتبطة بالدين والتي تستنبط منه موقفها الفلسفي.

كذلك عرفت مسألة العلاقة ما بين الدين والدولة منحى آخر مع **حركة الإصلاح الديني** مع "**مارتن لوثر**" في القرن السادس عشر(ق16م) في أوروبا مما أدى إلى ظهور الديانة البروتستانتية

---

[1] فريال حسن خليفة، **الدين والسياسة في فلسفة الحداثة**، المرجع السابق، ص 167.

[2] دانيال هيرفة، ليجيه وجان بول ويلام،**سوسيولوجيا الدين**، المرجع السابق، ص19.

[3] المرجع نفسه ، ص18.

والتي لازالت إلى اليوم، فهذه الحركة ظهرت كنتيجة النهضة الأوروبية إضافة إلى أن خلال هذه الفترة ظهرت مفاسد كثيرة داخل الكنيسة، يقول **أشرف صالح محمد السيد** في هذا الشأن:

"كان هناك دافع ديني أدى إلى ظهور حركة الإصلاح حيث شهدت القرون الثلاثة التي سبقت حركة الإصلاح صراعا بين ملوك أوروبا والكنيسة، فعندما كانت الكنيسة سلطة مطلقة على حكام المدنيين سعى الملوك إلى استيراد سلطتهم السياسية وبلغ الأمر إلى اضطهاد بعض ملوك البابا الأمر الذي أضعف من سلطة الكنيسة"[1].

تمكن هذا الإصلاح مع " **مارتن لوثر**"،في القضاء على التعددية الدينية، ونبذ قانون الكنيسة الذي جعل من سلطة البابا فوق سلطة الكتاب المقدس وأن البابا،وحده من يملك الحق في تفسير الكتاب المقدس بالرغم من كونه شخص شرير أو طيب فأصبح رجال الدين يحاسبون البشر عن أخطائهم وزلاتهم من خلال تقديمهم لصكوك الغفران فيرى" **لوثر**" أن السلطة لابد من أن تكون جامعة مانعة لكل البشر ولا وجود إلا للقانون المدني أو السياسي وأن يطبق هذا القانون على الجميع حتى رجال الدين بمعنى أن يكون فوق الجميع حيث أكد **مارتن لوثر**: "على عدم إمكانية رؤية الكنيسة ولا يهتم بصورة كبيرة باستغلالها الدنيوي إلا من حيث العلاقة بالمذهب والتبشير والقرابين المقدسة،قد تبدوا الحكومة الدنيوية السياسية الخارجية للكنيسة،كما يبدوا أكثر ملائمة لها أي أنهما قد تفعل ما تشاء بالنسبة إلى الملكية الكنسية"[2].

حصر وظيفة الكنيسة في الاشتغال على الدين فقط من خلال نشره والإهتمام بالمسائل الدينية كالألوهية وعدم التدخل في شؤون الدولة بهدف حفظ النظام وضمان المساواة بين كل الطبقات الإجتماعية يقول **كارل ماركس** : " يجب أن نرى العبادة الخارجية فقط ونحافظ عليها وندافع عن المذهب الصحيح وحالة الكنيسة ولا تنتشر الوثنية والتجديف باسم الله"[3].

---

[1] أشرف صالح محمد السيد،**أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ط1، دار واتا للنشر الرقمي، الكويت،2009م، ص97.

[2] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق، ص474.

[3] المرجع نفسه، ص 476.

لقد تم حصر وظيفة الدولة الجوهرية في المحافظة على النظام الإجتماعي وذلك عن طريق خلق جو ملائم للتعليم والعمل على إصلاح المنظومة التربوية من خلال الإهتمام بالمدارس والجامعات ودفع مستحقات التمدرس، يقول **ماركس:** "الحكومة حاجز ضد الخطيئة أو علاج الرذائل إن الحكومة الدنيوية توجد لكي تكيف سلوكنا لمجتمع بشري لكي تشكل عادتنا وفق العدالة المدنية إنها يجب أن تعتني بالفقراء،وتهتم بهم ويجب أن تشيد المدارس وتدفع الأجر للمتمدرسين وأن تهتم بالجامعات"[1].

حيث لم تتوقف حركة الإصلاح بل استمرت مع " **جون كالفن**" حيث أن فلسفته تجلت في: "الحكومة المثالية هي حكومة رجال الدين ويجب أن نعترف بالكنيسة فقط التي تؤمن بالإصلاح الديني باعتبارها صوت الله والدولة التي يخضعها كالفن لسيادة الكنيسة على أن تشكل كنائس وطنية مستقلة فقطع الصلة بالكنيسة الواحدة الجامعة مما أدى إلى تقوية سلطة الدولة القومية على أساس طاعة الكنيسة والكنيسة هبة من الله وهي لا تقع تحت البصر"[2] .

فمهمة الكنيسة يجب أن تنحصر في تدريس المؤمنين على القداسة والصلاح للفئة الأرستقراطية التي تتمتع بالحكمة لتفهم إرادة الله المسيطرة، أهم الإنجازات التي قدمها " كالفن" هي إعادة تنظيم للسلطة الكنائسية وتفعيل دور الحياة الدينية وسيادة السلطة الدينية على السلطة المدنية ،إذ أصبح قانون رجل الدين هو القانون المدني.

كذلك ظهر في حركات صاحبة الحركة الإصلاحية ويمكن إجمالها في :

أ- **<u>حركة الفرسان</u>:** " وهي الحركة المتطرفة الثانية التي صاحبت الإصلاح اللوثري فقد استغل الفرسان الثورة الموازية للثورة على الأمراء في وقت كانت فيه أراضي الكنيسة يمكن الإستيلاء عليها بسهولة"[3].

---

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق ، ص نفسها .

[2] أشرف صالح محمد السيد، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، المرجع السابق، ص115.

[3] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق ، ص105.

كان هناك واقع ديني أدى إلى ظهور هذه الحركات ورفضت هي الأخرى صكوك الغفران ،لأنها لم تكن معروفة من قبل في عهد الأوليين كما دعت هذه الأخيرة إلى إرغام الكنيسة على قبول الإصلاح ولخص لهما مبادئ وهي كالآتي:

" إخضاع رجال الدين للسلطة الكنيسة وإباحة الزواج لرجال الدين و ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل" [1]. إذ جعلت من فعل التفسير فعل جماعي ويحق لكل فرد ممارسته.

ب- والحركة الثانية تسمى حركة الفلاحين:

" كانت بسبب الشدائد والمظالم التي تعرض لها الفلاحون فجعلتهم يقومون بإثنى عشر(12) ثورة مما خلق اضطراب محموما في الأذهان ونفوس الفلاحين وازدادت شدة التحدي لبابا الكنيسة"[2].

حيث امتدت حركة تحرير اللاهوت من السياسة إلى فلسفة **جون لوك**، تحت اسم الدين المدني الذي يتمحور حول فكرة الوجود الإلهي الذي هو حقيقة عقلية وأن هذا الوجود تحكمه قواعد طبيعية ولازمة عن القول لا عن النص المقدس،إذ أن هذه الأخيرة هي بمثابة تفسير عن ذلك الوجود الإلهي الذي هو أساس الإلزام الأخلاقي والديني والسياسي على حد السواء فإذا اختل هذا القانون الطبيعي فيتعذر على الإنسان أن يلتزم بالقانون السياسي أو المدني،وينتج عن هذا الإختلال اختلال في منظومة التواصل بين الأفراد داخل المجتمع،إذ اعتبر **جون لوك** الدين المدني على أنه:

" التأويل لا النص الصريح فيه كما هو الحال **جان جاك روسو** وهو القانون المدني والقانون المدني مؤسس على مفاهيم العقل الطبيعي وهو إلزام بالحرية والمحبة والمساواة والعدل والمحافظة على الذات والمجتمع والاندماج فيه والتفاعل معه"[3].

---

[1] شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، (د.ط)، المكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص49.

[2] أشرف صالح محمد السيد، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، المرجع السابق، ص105.

[3] فريال حسن خليفة، **الدين والسياسة في فلسفة الحداثة**، المرجع السابق، ص118.

يقول **جون لوك:** " يتعين على السياسي لو أراد أن يبقى حيا أن يحرر نفسه من وصاية الديني"[1].

ونفهم من ذلك أنه لابد من رجل الدولة أن لا يتدخل في شؤون رجل الدين من ناحية تشكيل الأحزاب الدينية والعكس لابد من رجل الدين أن لا يتدخل في رجل الدولة في تشكيل الأحزاب السياسية وبهذا تتحقق الديمقراطية وهدف الدولة هو خدمة مواطنيها وهذا ما أكد عليه في " **رسالة في التسامح**" في قوله:" الدولة مجتمع من البشر تقوم من أجل هدف واحد هو السهر على مصالحهم المدنية والحفاظ عليها وعلى تقدمها،سلطانها لا يمتد إذن وبأي صورة إلى خلاص النفوس بل يتعين عليها أن تتقيد بالإعتناء بأمور هذا العالم لا أن تدخل فيما يخص القادم والحدود يجب أن تبقى ثابتة ولا تتغير بين الجانبين مادام أن الرغبة في توحيد هذين المجتمعين،فيه خلط بين السماء والأرض وهما متباينان ومختلفان كليا الأولى عن الأخرى سواء بالنسبة لأصلهما والهدف لكل منهما أو لصالحهما "[2].

بمعنى أن الكنيسة تتقيد بوظائفها ولا تتدخل في شؤون الدولة وتكون منفصلة تمام الإنفصال عنها ، أي أن الدولة والدين مختلفان من حيث المنهج، اللغة، الغاية، وكذلك الموضوع.

-**من حيث المنهج:** نجد أن منهج الدين منهج تأويلي ويعتمد على الوحي.

- **من حيث اللغة:** فلغة الدين هي الدعاء والمناجاة...إلخ، أما لغة الدولة هي القانون .

- **من حيث الغاية:** نجد أن غاية الدين هي التقرب من الله بالخضوع والعبادة والطاعة لأوامره،أما غاية الدولة تتمثل في الحفاظ على النظام الداخلي لمجتمع وصيانة الأفراد.

أما من **حيث الموضوع:** فموضوع الدين يكمن في القضايا والمسائل والعقائد الدينية،أما الدولة موضوعها الأمور السياسية، " ففي نظرية السياسة نجد نفس المزيج الذي جمع بين العقل والتجربة

---

[1] كريستيان دولا كماني ،**الفلسفة السياسية اليوم** (أفكار، مجادلات، رهانات) تر: نبيل سعيد، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر 2003م، ص50.

[2] John Locke, **Lettre sur Tolérance**, Coll,Gf, Flammarion Paris, 1999, pp168 ,179 .

التجزئيية وقد عبر عن هذه الآراء في كتابه الحكومة تحتوي على صياغة متطرفة لفكرة الحق الإلهي،وتقوم هذه النظرية على المبدأ الوراثي الذي لا يجد لوك صعوبة في هدمه"[1]

لقد كانت نظرية "**لوك**" السياسية كتلخيص للأحداث التي كانت آن ذاك في إنجلترا، كذلك نجد أن "**ميكيافلي**"هو الآخر الذي أكد على ضرورة الفصل بين اللاهوت والسياسة فهو المفكر السياسي الوحيد الذي أصبح اسمه شائع الإستخدام في هذا الطرح وذلك لتحديده لنوع محدد من السياسة وهو أول من دافع عنها بصورة علنية إذ يظهر ذلك بشكل واضح في العديد من مؤلفاته خاصة فيما ظهر في كتابه " **الأمير**"، حيث يرى أن: " فرصة الحرية للحكم الإنساني والحكمة والطاعة الإنسانيتين والطاعة المطلقة لسلطة صاحب السيادة"[2].

فأكد على مطلب الحرية الإنسانية، لقد استغرقت حركة النهضة التي انتشرت في ايطاليا خلال القرن الخامس عشر(15) م بعض من الوقت لكي تمارس إذ طرأت مجموعة كبيرة من التغيرات، "فيعرض ميكيافلي في مناقشته العامة لكتاب الخطابات النظرية الضوابط والتوازنات فلابد أن تكون لكافة فئات المجتمع سلطة دستورية ما حتى تستطيع هذه الفئات أن تمارس فيما بينها قدرات من الرقابة المتبادلة"[3].

"**ميكيافلي**" في كتابه الأمير يجمل العديد من القواعد التي يجب على كل أمير أو حاكم تطبيقها بهدف الحفاظ على قوته وسلطته والوصول إلى النظام العام الذي يحقق الاستقرار لكل مجتمع فقد رسم له طريق في السياسة بنوعيها الداخلية والخارجية، وهذه القواعد يمكن أن نوجزها على النحو الأتي: 1- "أن يصل الحاكم إلى السلطة بقوته وقدرته (Virtus).

2- الوصول إلى الحكم عن طريق مساعدة الحظ (Fortuma).

3-الوصول إلى الحكم عن طريق الإجرام.

---

[1] برتراند راسل ، **حكمة الغرب الفلسفة الحديثة والمعاصرة** ، تر: فؤاد زكرياء ، (د.ط) ،ج 2 ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1983م، ص 87 .

[2] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق، ص431.

[3] برتراند راسل، **حكمة الغرب الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، المرجع السابق، ص27.

4-الوصول إلى الحكم عن طريق مساعدة المواطنين"[1].

نفهم من هذه القواعد التي جاء بها "ميكيافلي" في نظريته السياسية أنه لم يدون أي **دستور** يقتدي به الحكام ولا دون مواعظ، وإنما مهتم بالتصوير الواقعي للسياسة وما آلت إليه إيطاليا آن ذاك إذ كان مهتم بالوسائل التي عن طريقها يخضع الحاكم المواطنين تحت سلطانه وكيف يحافظ على نظام الحكم، ضف إلى ذلك أنه صحح صورة تحرر النهضة الإيطالية من قواعد الدين والأخلاق.

" استعرض ميكيافلي الصفات التي تقوم عليها نجاح الحاكم مع التركيز على الأمير تشيرازي بورجيا...، إذ بدأ بالتأكيد على أن صراع الحياة في حدود القانون عمل سياسي وأن الإتكاء على القوة عمل وحشي ووجب على الحاكم أن يجمع بين الإنسان والحيوان ولا ينصحه ميكيافلي بأن يكون شريرا وإنما أحدى الوسائل التي تمهد له الدفاع عن ممتلكته"[2].

قدم هذا الفيلسوف في مؤلفه " **الأمير**" وصفا للصراع الذي كان قائما في إيطاليا ورأى أنه لابد على الحاكم أن يكون حكيم في الجمع مابين الإنسان والحيوان وأن يبتعد كل البعد عن كل تصور للدين في طبقة الحاكم ويعتمد على الفطنة والدهاء والقوة للحفاظ على كيانه الوجودي وعلى أرضه فيقال في هذا الشأن: " مع نيقولا ميكيافلي أصبحنا حقيقة في عالم أخر تماما لقد ماتت العصور الوسطى ويبدوا أكثر من ذلك أنها لم توجد مطلقا فكل قضاياها الله والخلاص والعلاقات بين العالم الماورائي والعالم الدنيوي والعدالة والأساس الإلهي للسلطة غير موجودة بالنسبة له"[3]

[1] إمام عبد الفتاح إمام، **الأخلاق والسياسة**، (دراسة في فلسفة الحكم)، المرجع السابق، ص255.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**،(د.ط) ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2000 م، ص48.

[3] جان جاك شوفاليه، **تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية** ،المرجع السابق، ص246.

خلاصة الفصل:

نستخلص من خلال ما تم تحليله في الفصل الأول مايلي:

• إن الخطاب هو جزء من التاريخ الإنساني بأنواعه إذ تباينت التصورات والتعاريف حول تحديد ماهيته.

•ضبط تصورات الدين والسياسة، مع بيان وجهات نظر لفلاسفة العصر الوسيط والفلسفة الحديثة بخصوص طبيعة العلاقة بين الدين والدولة.

• مسألة العلاقة بين الدين والسياسة لا يمكن الفصل فيها نظرا لتعدد واختلاف آرائها وتباين مواقفها ذلك لتطور فكر الإنسان فإن ما نراه اليوم خطأ قد يكون صحيحا غدا، ويحدث ذلك من خلال تجدد وتغير في العديد من الإتجاهات والآراء في الجانب الديني والسياسي.

• الإستقراء الكرونولوجي والجينيالوجي يسمح لنا بتوضيح التصورات في طبيعة العلاقة مابين اللاهوت والسياسة.

• مسألة جذور الإختلاف لا ترتبط بالمعتقدات الدينية، فحسب بل من جانب العمل الديني والبراكسيس السياسي ، إذ تتضمن هذه الأخيرة سياق كرونولوجيا جيوسياسية بين رجال الدين ورجال السلطة.

الفصل الثاني: الخطاب الديني عند "سبينوزا".

المبحث الأول: فلسفة "سبينوزا".

المبحث الثاني: إشكالية تأويل النص الديني.

المبحث الثالث: نقد النص المقدس.

" **كلما كان لبعض الأشياء واقعية أكثر أو كيان أكثر، كان مالكا لصفات أكثر**"

باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**،القضية09،ص39.

تمهيد الفصل:

من مواضيع فلسفة الدين **إشكالية تأويل ونقد النص المقدس**، فالأخيرة لاقت اهتمام كبير في أوساط الفلسفة الحديثة مع فلسفة "**باروخ سبينوزا**"،إذ أخضع النص المقدس إلى معيار العقل أو ما يعرف بعقلنة الدين، لأن العقل هو المخول الوحيد والأساسي في تفسير وتأويل النصوص والخطابات الدينية،فاعتبر أن هذا النقد موجه لعامة الناس كما توجه الدين أيضا،لأنه كان يعترف أن هذا الدين جاء خادما للناس ومدافعا عن الحق والحرية، وهذا ما حاولنا مناقشته في هذا الفصل المعنون ب: **الخطاب الديني عند "سبينوزا"** ،وهذا ما يدفعنا إلى طرح مشكلات سنجيب عنها من خلال مباحث ومطالب هذا الفصل والتي هي كالآتي:

ماهو مشروع هذا الخطاب السبينوزي؟

كيف استطاع سبينوزا معالجة إشكالية تأويل ونقد النص المقدس؟

المبحث الأول: فلسفة" سبينوزا".

المطلب الأول:سيرته الذاتية : (24 نوفمبر 1632-1677م):

"ولد باروخ سبينوزا Spinoza Baruch في 24 نوفمبر عام 1632م، في أمستردام عاصمة هولندا وتوفي في لاهاي عام 1677م"[1].

هو فيلسوف هولندي ينتمي إلى التيار الفلسفي الحديث عاش في العصر الوسيط في القرن السادس عشر م(16)." عاش في عائلة يهودية برتغالية لاجئة في هولندا، حيث اضطهدت ومنعت من ممارسة طقوسها الدينية،واضطرت إلى الإختيار بين البقاء واعتناق الديانة المسيحية أو المغادرة عارية من كل ما تمتلك"[2].

إن الوسط الذي عاش فيه وخرج منه "**سبينوزا**" كان معقد ومتشدد قمة التشدد والتزمن، بالإضافة إلى أن الجالية اليهودية في أمستردام وهي الجالية التي خرج منها "سبينوزا"، كانت دغمائية بصفة قطعية تهتم بالدين فعرفت انقلاب في أواخر القرن السادس عشر(16)، فانقسمت الطائفة اليهودية ونشأت المنازعات الروحية في صفوفهم،كما أن سلطة الكنيسة آن ذاك منعت من القراءة الضمنية والتأويلية **للتوراة*** " كان والده تاجرا ناجحا ولكنه متزمت للدين اليهودي،فكانت تربيته أرثوذوكسية،ولكن طبيعته الناقدة والمتعطشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي، درس العبرية والتلمود في **يشيفا*** من سنة 1639 إلى 1650"[3].

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص 185.

[2] جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس**(الدين والأخلاق والسياسة)، ط1، مؤمنون بلاحدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب،2017م، ص 07.

*__التوراة Torah__: هي كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل يوريه بمعنى يعلم أو يوجه، صارت تعني العهد القديم كله مقابل تفسيرات الحاخامات ويشار إليها بأنها القانون أو الشريعة.(عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**،ج5، ط1، دار الشروق،القاهرة، 1999م ص ص87،86).

*__يشفا__: بالعبرية تعني الجلوس، وتلفظ بالعبرية يشيفاه وهي مدرسة يهودية دينية،حيث يتم تعليم مصادر الهالاخاه (الشريعة اليهودية)، وخاصة التلمود طرق الإفتاء في الديانة اليهودية.(عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، المرجع نفسه، ص494).

[3]إبراهيم الزيني، باروخ سبينوزا، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م، ص 11.

كما قرأ أسفار "موسى" الخمسة وختم بدراسة التلمود وتأثر بفلاسفة العصر الوسيط، إذ أراده والده أن يصير حاخاما فتلقى تعليما للفلسفة اليهودية وتعلم صقل زجاج النظارات، ولكن حبه للفلسفة وشغفه للمعرفة أجبره على سلك طريق الفلسفة إذ بدأ يشك في الدين.

" فعدل من مشروعه وتحول إلى العلوم الإنسانية،وأخذ يتردد الأوساط البروتستانتية،فتلقى الفلسفة الديكارتية، ثم قرأ جيوردانو برونو وغيره من فلاسفة العصر وبين محدثين ومدرسين فازداد ابتعادا عن اليهودية"[1].

حيث احتكاكه بهذه الأوساط غلغلت فيه فكرة الشك وعدم قبول كل العبارات الواردة في الكتاب المقدس، " ومن المرجح أنه بالفعل يفكر في الخلود والله بنفس الطريقة التي سيتبعها في فلسفته المتأخرة،والتي كان ينظر لها بالتأكيد في ذلك الوقت على أنها تخالف ما تعارف عليه من وجهة نظر اليهود والمسيحيين التقليدية"[2].

تأثر بفلسفة "**ديكارت**"في فكرة أن الحدس هو مصدر المعرفة اليقينية إذ أكد "سبينوزا" على فكرة أن الله و الطبيعة هما فكرة واحدة وأن وحدة الوجود هي الفكرة التي تنزل من الواحدية إلى التعددية."وقام بتحليل **الميتافيزيقا*** الخلقية التي وجدها في كتابات **موسى بن ميمون*** Maimonides Moses ،وابن جبرول، وتوافر على دراسة الأخلاق الميتافيزيقية عند غير اليهود أمثال: أفلاطون،وأرسطو، وأبيقور"[3].

---

[1] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**،(د.ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص 113.

[2] ويليام كلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: محمود سيد أحمد،(د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة،(د.ب)،2001م، ص 105.

[*] **الميتافيزيقا(Metaphysics)**: علم ما بعد الطبيعة هو العلم الذي يشمل الموجودات اللامحسوسة ،الورائية وهي معرفة الأشياء في حد ذاتها،معرفة الظواهر التي تتجلى من خلالها هذه الأشياء.(جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، المرجع السابق، ص460).

[*] **موسى بن ميمون**: اسمه الكامل أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، فيلسوف يهودي وعالم لاهوتي بالديانة اليهودية، ولد في مدينة قرطبة بالأندلس في 30 مارس 1135م توفي في 13 ديسمبر 1204م، اشتغل عدة مناصب وله عدة مؤلفات منها: اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس. (عبد الرحمن بدوي،**الموسوعة الفلسفية**، ج2، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1984م، ص424).

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص186.

حيث كان يعتمد على النظرية القائلة بالحب الإلهي والزهد،إذ انطلق من منهج الشك الديكارتي وثنائية النفس والجسد،فالتميز بين الفكرة الصائبة وبقية الأفكار المتداولة هو أساس التفكير السبينوزي وهذا تشبيه إلى حد بعيد بالفكرة الديكارتية القائلة بالطبائع الحقة والطبائع الثابتة، وتيسر له دراسة **القبالة*** وأن كمال الله يكمن في الحب لا في المعرفة ، وأن كمال المخلوق رهن بنصيبه مع هذا الحب وهذا المذهب، وهذا ما نلتقيه في ختام كتاب الأخلاق"[1].

إذ ظل في الطريق منبوذا بين الناس ووصل بهم حتى رفضهم أن يأجروه بيت يسكن فيه، ورفضوا التعامل معه إذ وصل بهم الأمر إلى محاولة اغتياله وطعنه لكنه نجا،"حيث نبذ من طرف أهله ومن الجالية اليهودية بأمستردام بسبب إدعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرف بطبيعة الله"[2].

وهذا ما جعله يؤكد ويتمسك أشد التمسك بفكرة أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا وأن يعيش بلا تفلسف وفلسفة إلا بشرط واحد وهو اعتزال العالم كليا وأن يعيش وحيدا بأمان، "ففي عام 1656م، فرض عليه أقصى أنواع الحرمان والذي صدر هذا الأخير من قبل المجتمع السفاردي بأمستردام والذي لم يلغى قط بعد ذلك،حيث ترك سبينوزا الديانة اليهودية وغادر أمستردام وأقام في راينسبورج عام 1661م"[3].فالبرغم من تطبيق عليه **نص الحرم*** ،كانت أفكاره كافية لتغيير مفاهيم

---

* **القبالة:** في العبرية هي تقليد الموروث أو المقبول، وأطلق على التأويل الخفي للتوراة، وهي خليط من الفلسفة والتصوف والسحر،من أهم مسائلها تعاليم الدين لبني إسرائيل وسرية التعاليم وإمكان فك رموز التوراة ورمزية الأعداد والحروف وإحصاء الأرواح المديرة للكون والمطابقة للعوالم المختلفة.(جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،ج1، المرجع السابق ، ص425).

[1] إيميل برييه، **تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر**، ط1، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1983م، 1993م، ص 191.

[2] إبراهيم الزيني،**باروخ سبينوزا**، المرجع سابق، ص11.

[3] موسوعة ستانفورد للفلسفة، **باروخ سبينوزا**، تر: أمين حمزاوي، حكمة،2021م، ص4.

* **نص الحرم:**هو نص تكفير ونفي وحرمان من كل الحقوق، فرضته قيادات الطائفة اليهودية على "باروخ سبينوزا" نتيجة موقفه من العلاقة بين اللاهوت والسياسة،(من إعداد الطالبة).

الفلسفة،فعندما توفي كتبوا الكهنة. " هنا ينام سبينوزا أبصقوا على قبره"[1]. لكن التاريخ أقر العكس يخلد اسمه، إذ جاء في النص الحرم الذي طبق عليه مايلي:

" بمساعدة القديسين والملائكة نحرم ونطرد ونلعن وننبذ ونصب دعائنا على باروخ سبينوزا بموافقة الطائفة المقدسة كلها،وفي وجود الكتب المقدسة ذات الستمائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة وليكن مغضوبا وملعونا نهارا وليلا وفي نومه وصبحه ملعونا في ذهابه وإيابه،خروجه ودخوله ونرجوا من الله ألا يشمله بعفوه أبدا وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه وإنما ويحمله جميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة"[2].

من الملاحظ أن هذا النص من الحرمان إن دل على شيء إنما يدل على كره "**سبينوزا**" الشديد **للديانة اليهودية** والإبتعاد عنها،بل والثوران الجياش ضد **اللاهوت اليهودي** كرد فعل على هذا النص المطبق عليه، ولم يكتفي الحرمان باللعن والطرد بل مقاطعته كليا من طرف اليهود وأسرته، كل هذا كرد فعل على كتاباته التي وضعها في مواجهة العقائد اليهودية والمجتمع اليهودي المتشدد والمتعصب،حيث ورد في الجزء الأخير من نص الحرم مايلي:" وأنتم مخلصين لله الذي يحفظ حياتكم اعلموا بأنه لا ينبغي لكم أي علاقة مع سبينوزا لا كتابة ولا كلمة ،وأن لا يقدم له أحد مساعدة أو معروفا وأن لا يقترب أحد منه على مسافة أربع أذرع،وأن لا يعيش معه أحد تحت سقف واحد وأن لا يقرأ أحد شيئا مما كتبه"[3].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على كشف سبينوزا **للسلطة اليهودية** التي كانت تستخدم **النص المقدس** لخدمة مصالحها الشخصية بالإضافة إلى خوف الكنيسة من المجتمع اليهودي أن يقرأ كتبه ويتفطن لمبدأ الحرية السياسية وفصل الدين عن الدولة، لأن مؤلفات هذا الرجل كانت

---

[1] إبراهيم الزيني، **باروخ سبينوزا**، المرجع سابق، ص04.

[2] ول ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم**،تر: فتح الله محمد المشعشع، ط5، مكتبة المعارف، بيروت،1985م، ص193.

[3] أيوب عماري، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا،دراسة تحليلية نقدية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص فلسفة عامة، جامعة وهران 02، الجزائر،2017م، ص17.

بمثابة انتقاد واضح للديانة ككل، "فوصفه أحدهم بأنه أعظم الملحدين الذين ظهروا على هذه الأرض فجورا وإثما"[1].

كذلك تلقى بعض الرسائل من تلاميذه يصفونه فيها بأنه كافر منها رسالة وردت له من طرف تلميذه يقول فيها:" لقد زعمت بأنك توصلت إلى الفلسفة الحقة، كيف عرفت أن فلسفتك أفضل جميع الفلسفات قديمها وحديثها؟ناهيك عما سيأتي به المستقبل من فلسفات؟هل اختبرت الفلسفة التي تدرس هنا وفي الهند وفي جميع أنحاء العالم؟ولو أسلمنا بأنك اختبرتها فمن أدراك أنك اخترت منها أفضلها؟وكيف تجرؤ على وضع نفسك فوق رجال الدين والأنبياء والرسل والعلماء وآباء الكنيسة وكيف تستطيع مواجهة الحكمة الخالدة بكفرك العنيد"[2].

إذ رد عليه **سبينوزا** ردا يشبه طريقة كلامه في الرسالة إذ كان يحمل في طياته عبارات نقدية لاذعة للدين اليهودي، فيقول في رده:

" أنت يا من تدعي أنك وجدت أخيرا أفضل الديانات وأحسن المعلمين ووضعت إيمانك فيهم؟كيف عرفت أنهم أفضل من علموا الديانات أو يعلمونها الآن أو سيعلمونها في المستقبل؟هل اختبرت كل هذه الديانات قديمها وحديثها التي تعلم هنا وفي جميع أنحاء العالم؟لو فرضنا أنك اختبرتها جميعها فمن أنبأك أنك اخترت أفضلها؟"[3].

ما يمكن تحليله من هذا الرد أن" **سبينوزا**" كان شاكا في جوهر الدين ، وذلك من خلال أسئلة الحاخامات التي كانت تطرح عليه، فشك في الحاخامات والقدسيين وفي طبيعة وجوهر الدين،هل هو صحيح أو مفبرك من طرف سلطة الكنيسة؟ أو أنهم اصطنعوا دين، يتماشى ويخدم مصالحهم الشخصية،ففي اعتقاده أن الناس والفلاسفة الأوائل لوما فسروا النص المقدس تفسير عقلي ، لما وجدوا فيه كل هذه التناقضات،فلم يتوقف الأمر عند تكفيره وتطبيق نص الحرمان عليه فحسب بل

---

[1] كامل محمد محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، ط1، دار الكتب، بيروت، لبنان،1413هـ-1993م، ص86.

[2] المرجع نفسه ، ص ص86، 87.

[3] المرجع نفسه ، ص87.

حاولوا التنديد به وقتل،فبعد كل الأحداث التي راودته قرر أن يغير حتى اسمه إذ سمى نفسه"**بندكت** Bendict"، والتي تعني المبارك وعاش بين المسيحيين واستطاع أن يعتمد على نفسه،وذلك عن طريق اشتغاله بصقل العدسات التي تعلمها في صغره،إلا أنه أصبح معروفا في أوساط مجتمعه، حيث آمن بحرية التفكير وتحرير سلطان العقل،حاول اكتشاف الذات منذ بداية الخلق(التفكير في زمن التكفير)، فالبرغم من العروض الفخمة التي أتت إليه إلا أنه أبى ورفض وآمن بالحرية الفكرية،وهاجم التعصب وعدم التسامح.

" فأكمل حياته وحيدا متفرغا بشكل كلي لحياة الفكر والفلسفة وكان يعيش عيشة بسيطة متقشفة ويسكن غرفة لدى عائلة هولندية في مدينة ريسنبرج حيث لا يزال هذا المنزل قائما حتى اليوم ويحمل الشارع الذي فيه هذا البيت اسم الفيلسوف سبينوزا"[1].

فقد رحل" **سبينوزا**"، كشخص ولكن فكره مازال حي إلى اليوم إذ قال عليه **علي عبد المعطي محمد** أنه:" كان كثير الأفكار حيث اتخذ من اللغة اللاتينية لسانا ولغة يحرر بها مؤلفاته ويقال أنه لم ينشر في حياته إلا كتابين اثنين فقط،فقد ظهر الأول وعلى غلافه سبينوزا،وظهر الثاني غفل من اسمه"[2].

ومن المؤلفات التي تركها "سبينوزا هناك ما تم نشره وهو على قيد الحياة،ومتحفظ عن اسمه،وهناك من نشرت بعد وفاته،وهناك ما نشر منها عام 2020م ،ولعل من أهم مؤلفاته نذكر مايلي:

1- <u>رسالة موجزة في الله والإنسان والسعادة عام 1660م.</u>

"نلمس في هذا الكتاب حركة احتجاجية صامتة ملتزمة تنظر النور الطبيعي وتنبذ التعصب الديني والسياسي،كما يشكل هذا الكتاب تمهيدا لكتاب الأخلاق"[3]. في هذا الكتاب مقدمة فريدة من نوعها لفلسفته الأخلاقية، وأفكاره إذ يستعرض فيه رؤيته عن الإنسان المثالي والإنسان الذي يعيش

[1] إبراهيم الزيني، **باروخ سبينوزا**، المرجع السابق، ص24.

[2] علي عبد المعطي محمد، **تيارات فلسفية حديثة**،(د.ط)، دار المعرفة، الجامعية، الإسكندرية، مصر،1999 م، ص163.

[3] أيوب عماري، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا**، المرجع السابق، ص20.

مدفوعا بالمنطق لتحسين حياته وحياة الآخرين من حوله،إذ يطمح إلى الخير الأسمى ويتمتع بمسرات العالم ولكن بشرط التوازن والاعتدال.

2- رسالة في إصلاح العقل عام 1661م.

" بدأ سبينوزا في تأليف هذا الكتاب عام 1661، ويعتبر مقدمة في المنهج وفي قيمة المعرفة أي أنه يعتبر منطلقا جديدا أو مدخلا للمنهج الجديد وبين فيه المنهج القويم الذي يؤدي بطريقة مثلى إلى معرفة الأشياء معرفة حقيقية"[1].

تحدث "**سبينوزا**" في هذا الكتاب عن السبب الذي أدى به إلى تعلم الفلسفة وأقر أن التجربة علمته أن كل شيء في الدنيا هو عبثي وزائف،لهذا قرر أن يبحث عن الأزلي الدائم والمطلق، وهو معرفة الإتحاد بين العقل وسائر الطبيعة،فإذا فهم القول قواه يستطيع أن يفهم ويفرق بين كل شيء في الطبيعة،بين الأزلي الدائم،والفاني الزائل،حيث أن هذا هو السبيل الوحيد للسعادة، فالسعادة الحقيقية هي التي تكمن في تحصيل العلم وإمتاع العقل بالمعرفة.

3- مبادئ الفلسفة الديكارتية مبرهنة عليها على الطريقة الفلسفية عام 1663م.

"كان هذا الكتاب في البدء عبارة عن محاضرات ألقاها سبينوزا على إحدى طلبته في الفلسفة، وقد اعتبر تمهيدا لفلسفته التي تأثر فيها بديكارت، وفي آخر الكتاب ملحق عن الأفكار الميتافيزيقية"[2]. استوقفته الكثير من الأفكار الديكارتية حول تقسيمه لثنائية العقل والجسد،فلقد حافظ على المنهج الديكارتي بوصفه منهج عقلي جديد ،إذ بواسطته يتم إدراك القوة المنتظمة والمدركة للحقائق إذ تحل هذه القوى محل كل تفكير قديم وميتافيزيقي زائف.

4- الأخلاق مؤيدة بالدليل الهندسي 1665م.

"يعتبر كتاب الأخلاق هو مؤلف سبينوزا الرئيسي وقد تناول فيه موضوعات عن الله والألوهية والطبيعة، ومصدر النفس والإنفعالات والرق الإنساني والعبودية وقوة العاطفة وقوة العقل والحرية

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص190.

[2] المرجع نفسه، ص190.

الإنسانية والأخلاق،بمعناها الضيق في القسمين الأخيرين من الكتاب"[1].يرى **سبينوزا** في هذا الكتاب أن المبدأ القائل أن الله خلق الكون لهدف أو من أجل الإنسان يعتبر بمثابة حكم قاطع على الله بالحرمان من أشياء يرغب في تحقيقها،فإذا كان للإله غاية فهو إذن غير كامل،وبالتالي يرى أن الكون مرتبط ببعضه البعض وفق مبدأ الضرورة أو الحتمية،لا مبدأ الغائية ومن العبث أن ينظر الإنسان للكون وكأنه يسير لغاية ولا يسير لضرورة،كما أن هذا الكتاب يضم فكرة جوهرية ألا وهي أن كل شيء جزء لا يتجزأ من الطبيعة، و يتناول فيه "سبينوزا" موضوع **الميتافيزيقا** و**الأنطولوجيا***، **والابستيمولوجيا*** مثل إشكالية الله والعالم والجوهر والمعرفة.

5- <u>الرسالة الدينية السياسية رسالة في اللاهوت والسياسة عام 1670م.</u>

"التي حاول فيها التعليق على بعض التوراة والتوفيق بين الفلسفة والدين، وقد صدرت عند ظهورها مجردة من اسم مؤلفها فساعد هذا على نشرها أكثر مما كان ينتظر، وتهافت الناس عليها باسم رسالة طبية أو قصة تاريخية"[2].

أكد "**سبينوزا**" في هذه الرسالة فكرة أن الحياة أبدية قائمة على أساس طريقة الخلاص من الأديان،إذ أن المؤمن في نظره ورجل الدين سيكتب له الخلاص شأنه شأن الفيلسوف وخالف "**موسى ابن ميمون**" في فكرة أن الحدس هو قمة الكمال العقلي فيستبعد القوة العقلية للأشياء ودعا إلى ثورة فكرية من خلال منهجه وكذلك خلق طريقة جديدة في التعامل مع النصوص الدينية المقدسة، وذلك باستخدام المنهج العقلي ومن ثمة البحث عن الأصل التاريخي والجذور التاريخية المعمقة للنص المقدس، كما أن هذا الكتاب أو هذه الرسالة هي بمثابة موقف نقدي من **اللاهوت والسياسة.**

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق ، ص ص 190،191.

[*] **<u>الأنطولوجيا</u> (Ontology)** : أحد مباحث الفلسفة وهو يشمل النظر في الوجود بإطلاق مجردا من كل تعين أو تحديد، وهو عند أرسطو علم الموجود بما هو موجود.(إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق ، 26).

[*] **<u>الابستمولوجيا</u> (Epistemology)**: هي فرع من فروع الفلسفة، تبحث في أصل المعرفة وبنيتها ومناهجها ومصداقيتها. (مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص12).

[2] يوسف كرم، إبراهيم مذكور، **دروس في الفلسفة**، ط1، عالم الآداب للترجمة والنشر، بيروت، لبنان،2012م، ص329.

6- الرسالة السياسية:1676م-1677م.

" رسم **سبينوزا** في هذه الرسالة الخطوط العامة لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع من نظام حتى لا يسقط في أيدي الحكام الدكتاتوريين،أو حكم القوة الغاشمة، وحتى ينعم المواطنون في المجتمع بالسلام والأمن والحرية"[1].

في هذه الرسالة يعتبر **سبينوزا** أن الإنسان شهوة، وأن الحضارة والإنسان البدائي تعاهد على تبادل المصالح،بحيث يتنازل ذلك الكائن عن أنانيته وشهواته وعدوانيته مقابل منافع تقوم بها الحضارة الإنسانية.

7- ملخص القواعد العبرية 1677م.

" وفيه بحث جينيالوجي يشرح فيه سبينوزا قواعد اللغة العبرية،إنها محاولة منه لتأسيس تفكير مجرد حول اللغة من جهة،وتيسر فهم لغة العهد القديم من جهة أخرى"[2].

2- الرسائل (المراسلات) 2020م.

" عددهما 86 رسالة وهي عبارة عن مجموعة من المراسلات الفلسفية التي تعبر عن التزام سبينوزا بالنقاشات الفكرية التي كانت معروفة في عصره، حيث راسل مناقشي عصره وأبدى فيها أمهات القضايا السياسية والميتافيزيقية"[3].هذه الرسائل تم نشرها حديثا أي عام 2020م، وتتعلق بالمفاهيم التي اعتمد عليها "**سبينوزا**" في كتبه وردوده على الأسئلة والتوضيحات والمناقشات وحتى الانتقادات التي وجهت له.

المطلب الثاني: فلسفته ومنهجه .

أنشأ مذهب فلسفي يقوم على تحرير العقل وتخليصه من البدع وخرافة المعتقات والأوهام القديمة، وذلك عن طريق الخوض في المسائل الدينية ومناقشتها وضرورة فصل الدين عن الدولة ونبذ كل حاكم سياسي يستنبط أحكامه من السلطة الإلهية حيث هذا ما دعا إليه في كتابه **رسالة**

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص192.

[2] بيار فرانسوا مورد، **سبينوزا والاسبينوزية**، تر: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا،2008م، ص106.

[3] عماري أيوب، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا**، المرجع السابق، ص24.

في اللاهوت والسياسة، " فكرة فلسفته البارزة للعيان واللافتة للنظر هي: لا يوجد سوى جوهر واحد وهو الجوهر الإلهي المتناهي الذي يتوحد بالطبيعة.....يصعب إنكار الديكارتية كانت لها تأثير على فكر سبينوزا وكانت إلى حد ما على الأقل آداة في تشكيل فلسفته"[1].

إذن ما نلاحظه على فلسفة "**باروخ سبينوزا**" أنها تشبه إلى حد كبير فلسفة "ديكارت" كذلك إذا تأملناها نجد أن المنهج الهندسي يتجلى من خلال التعريف لمصطلحاتها،فإن هذه الفلسفة لا تعدوا أن تكون إيضاحا للمعنى والمصطلحات مثل: **الجوهر***، ،**الله، الطبيعة، الحرية والضرورة،** فكانت نزعته توحيدية جعلته يعترف بالجوهر الواحد الذي يحمل صفة **الإمتداد*** وهذا ما أكد عليه "**برونو**" و"**ابن عربي**" "و"**ابن سبعين**" و"**ابن الحلاج**"، وغيرهم إذ نلمس تأثر واضحا **لسبينوزا** بفكر هؤلاء إذ فسر مذهبه **وحدة الوجود*** على أنه: " مذهب وحدة الوجود أن الله هو العالم وجسمه النجوم والكواكب،والأشجار والأزهار والمحيطات والجبال والسحب،وعقله الروح التي تشكلها وتلونها وتحركها وتجملها،وكل جسم بشري جزء من جسم الله،وتعرف هذه العقيدة الفلسفية بوحدة الوجود"[2].

---

[1] فريدريك كوبلنستون، **تاريخ الفلسفة،الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى ليبنيتز**، تر: سعيد توفيق، محمود سيد أحمد، م4، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2013م، ص285.

*__الجوهر__: يعرفه" سبينوزا" أنه ما يوجد في ذاته، ويتصوره بذاته، أي مالا يتوقف بناء تصوره على تصور شيء أخر.(باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**، تر:جلال السعيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،2009م ،ص 31).

*__الإمتداد__: كيفية للأجسام تدل على أنها موضوعة في المكان، في الفلسفة الحديثة الإمتداد جزء من المكان فيقال الإمتداد خط أو سطح أو حجم.(مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص91).

*__وحدة الوجود (Pantheism)__ : الهنود أول شعب ظهر فيه هذا المذهب، ثم تأثر به أقطاب الفلسفة اليونانية ، فآثر كل منهم مادة جعل منها الأصل الذي تتكون منه الأشياء باجتماع بعضه مع البعض، أو بالتكاثف وتفسد بافتراق بعضه عن بعض، أو بالتخلخل. آثر" أرسطو" الماء" و أنكسمانس" الهواء" و هيرقليطس" النار واعتقد كل منهم في مادية الحياة والفكر. فمقتضى هذا التصور كان الوجود واحدا.(مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع نفسه، ص 681).

* لقد جعل __سبينوزا__" الكل في واحد الله والعالم والإنسان في جوهر واحد هو الله وبهذا سقط في تاريخ الفكر الفلسفي وفي تاريخ الأديان منذ البدء بوحدة الوجود، مما عرضه لهجوم عنيف لأنه لم ينزه الله عما تصف ألسنتهم الكذب"(ابراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص213).

[2] هنري توماس، ودانالي توماس، **المفكرون** (من سقراط إلى سارتر)، تر: عثمان نوية، (د.ط)، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص168.

إلا أن "**سبينوزا**" لم يكتفي بنسق واحد فحسب،بل تجاوز ذلك حتى في **نظرية المعرفة***

إذ نلمس في كتاباته تأثره الواضح "بديكارت"،إذ أن فلسفته مثلت قفزة إبستمولوجية فاصلة بين الفلسفات الأولى القديمة والفلسفة الحديثة وهذا ما أكد عليه "**إبراهيم مصطفى إبراهيم**" في قوله: "اقتضى سبينوزا أثر فلاسفة القرن السابع عشر(17م)، في انتهاج طريقة خاصة في البحث،وهذه الطريقة الاستنباطية الرياضية،لأن الرياضيات استهوته كما استهوت ديكارت وباسكال ومالبرانش وتوماس هوبز"[1].

وهذا ما يؤكد لنا تأثره حتى بسابقيه،إذ نجده تأثر حتى بنظرية "**اقليدس**" في المنهج الرياضي العقلي وهذا ماأكده لنا **كونتيغاهم جون** في قوله:" كان سبينوزا استنباطيا بامتياز والتعبير النهائي عن فلسفته هو كتابه الأخلاق المبرهن عليها في نظام هندسي وفيه أعلن سبينوزا نظام فلسفي كلي يسير إلى موازاة هندسة إقليدس فالتعريفات مدرجه والبديهيات موضوعه ،ثم هناك العدد الكبير من القضايا و الإستنتاجات المبرهن عليها بالتفكير الذي يسوغه في كل مرحلة أنه ينجم بطريقة دقيقة متدرجة عن التعريفات والبديهيات"[2].

لقد كان لفلسفة "**ديكارت**" ومنهجه في الشك الأثر البارز على فلسفته إذ نجد هناك اتفاق بين "**سبينوزا وديكارت**" في ناحية الدين إذ أن كلاهما يسعى إلى إعطاء تفسير عقلاني للدين وهذا ما يطلق عليه **عقلنة الدين** ، كذلك رأى أن الفكرة الصادقة هي تلك التي تكون غاية في ذاتها التي لا تحملنا إلى الشك المطلق وهذا ما يجعل المعرفة مستحيلة ويقول "**سبينوزا**" عن هذه الفكرة:

---

*__نظرية المعرفة__: "يقول "سبينوزا": أعظم مجهود للنفس وفضيلتها العظمى أن تفهم الأشياء بواسطة النوع الثالث من المعرفة، ازدادت رغبتها في فهم الأشياء بهذا النوع من المعرفة"(باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**، المصدر نفسه، ص ص336،337).

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع سابق، ص195.

[2] كونتيغاهم جون، **العقلانية فلسفة متجددة**، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا،1997م، ص59.

" أن الفكرة الصادقة هي معيار الصدق فكما أن الضوء يكشف عن نفسه وعن الظلام في آن واحد،كذلك فإن الصدق هو معيار نفسه ومعيار الكذب في نفس الوقت، ومن حصل على معرفة صادقة عرف في الوقت نفسه أنه حصل على معرفة صادقة لا يمكن لأحد أن يشك فيها"[1].

كما تمكن من أن يبدأ كتابات "**برونو**" التي تأثر فيها بفكرة الجوهر وأن الله والطبيعة شيء واحد إذ هذا ما أكد عليه في كتابه علم الأخلاق في قوله:" إن المبدأ الأول لا متناه في جميع صفاته واحدة هذه الصفات الامتداد"[2]. بمعنى فكرة الجوهر و فكرة الإمتداد هما خاصيتان من صنع الذهن لا من العدم والوهم.

المطلب الثالث: جوهر الدين عند "سبينوزا ".

الفصول الخمسة عشر(15) الأولى من كتابه "**اللاهوت والسياسة**"هي بمثابة نقدا لما كان يتمسك الهولنديين آن ذاك، إذ يحمل الكتاب نقدا لأصل الدولة التي يكمن تأسيسها الإلهي على العهد القديم إذ تستمد سلطتها من إرادة الله وتنظم السلوك البشري،فمرجعية "**باروخ سبينوزا**" لفكرة الدين هي الحالة اللاهوتية التي كانت في هولندا، إذ "قاوم محاولة الوعاظ والمجتمعات الدينية في هولندا زعمهم للدور الذي قام به الأنبياء العبرانيون القدماء وإصدارهم أوامر الحكومة باسم الله إذ يصر ضد السلطات الدنيوية والكنائس المسيحية والمحافل اليهودية على أن العبادة الداخلية للورع لا يكون منظما في العقد الاجتماعي"[3].عرف القرن 17 حرب الثلاثين عام في ألمانيا والنمسا بين 1618م وسنة 1648م.

" ولقد كانت حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستان حملت في طياتها الكثير من الأفكار الرجعية التي حاربها سبينوزا"[4].

---

[1] باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، المصدر السابق ، ص 188.

[2] المصدر نفسه، ص84.

[3] ويليام كيلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق ، ص123.

[4] عماري أيوب، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا**، المرجع السابق، ص29.

هذه الحرب الدينية كانت اللبنة الأولى التي كونت وشكلت المرجعية الفلسفية لفكرة الدين عنده ،إذ كانت له اتصالات مع الجماعات التي تدعوا إلى التحرر الفكري والاشتغال على تدريس الفلسفة إذ تعرف على الكثير من الطوائف مثل: "طائفة المحفليين les collégiens،ومركزها بلدة رينسبرغ وقد عملت هذه الطائفة على التخفيف من غلو الكالفينية ونفس الأمر يقال على الطائفة المينونية Mennonites وهي طائفة تنسب إلسيمون مينوSimon menonالذي قام في بوهيما أواخر القرن(16)م، يدعوا إلى الحرية الدينية ويقاوم تأثير الكالفينية واللوثرية"[1].

إن هذه الطائفة كانت تدعوا إلى عدم قبول العبادات والطقوس والعقائد الخارجية، بل كانت تهتم بما هو داخلي للإنسان ويكون القلب مصدره ،" فكان الأهم عندهم هو طهارة القلب إذ تتمثل في فعل الخير وحب الجار والتسامح، وكان أفراد هذه الطائفة يرفضون استخدام أي لون من ألوان العنف في نشر مبادئها، فحرموا حمل السلاح وذهب بعضهم إلى حد الامتناع عن الاضطلاع بالمسؤوليات والالتزامات العامة حتى لا يضطروا إلى إراقة الدماء في الحرب"[2].

هذه الطوائف كانت تحمل في طياتها رسالات دينية،اجتماعية،وأخرى سياسية فكانت تدعوا إلى أرائها الجديدة ، كذلك نجده متأثرا بالديانة الشرقية خاصة في بعض **المفاهيم الدينية**

"سبينوزا كان على اطلاع كلي بالحكمة الكونفوشيوسية ولنبدأ بفارس في إيران التي كانت الزرادشتية أو المجوسية الدين الرسمي للإمبراطوريات البارثية والساسانية إذا اعتقدوا أن هناك صراع بين إله الخير هوارومازدا وإله الشر هريمان"[3].

نلمس هناك تقارب بين **الحكمة السبينوزية والديانات الشرقية** خاصة في مسألة الميتافيزيقا ومسألة الخير والشر،كذلك هو الحال بالنسبة إلى التراث أو الحكمة الهندية في أسفار الأوبانيشاد هناك تقارب في فكر" **سبينوزا**" وفكر وحدة الوجود،" إدراك الوجود هو الهدف النهائي لكل حياة بشرية يقتضي توفق كل ازدواجية ... ولخروجه من النظام الإزدواجي يصبح الحكيم متحررا حيا لم

[1] عماري أيوب، **وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا**، المرجع السابق ،ص ص29، 30.

[2] فؤاد زكريا، **سبينوزا**،(د.ط)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،2017م، ص25.

[3] أيوب عماري، **وحدة الوجود عند سبينوزا**، المرجع السابق، ص33.

يعد أمامه سوى السعادة الخالصة"[1].فهناك تقارب كبير بين أخلاق "سبينوزا" وإلهه وبين ما تم تناوله في الديانة الهندوسية، كذلك تحرر من **الديانة اليهودية** وهذا ما ظهر في الفصل الثالث من كتابه المعنون ب" **رسالة في اللاهوت والسياسة**" إذ خصص فصل كامل مستهلا فيه بعنوان: رسالة العبرانيين وهل كانت النبوة وقفا عليهم؟ ، يقول:" إن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونا إلا في تمتعه بالخير، لا في فخره بأنه وحده هو الذي يتمتع به مع استبعاد الآخرين، ومن يظن أنه حصل على سعادة أكبر لأنه وحده في حالة طيبة على حين الآخرين ليسوا كذلك"[2].

المبحث الثاني: تأويل النص الديني.

المطلب الأول: إرهاصات ميلاد التأويل:

بدأت مرحلة جديدة تتمثل في مرحلة انتقال **التأويل*** من الله إلى الإنسان والتحول من الله إلى العلم،ولحظة استبدال المعتقد،" لقد تم الدعوة إلى احترام العقل ومكانته في البحث الجاد وزعزعة السلطة العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة دون الخروج من الإطار الأنطولوجي العام، كما تم رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان،وجعل علاقة الله بالإنسان مباشرة مع رفض تفسير الكتاب المقدس وإعلان حرية الإيمان"[3].إذ بدأت مرحلة **الإصلاح الديني والسياسي** الذي يدعوا إلى تصحيح روئ الكنيسة التي كانت تهدف إلى إبقاء الكتاب المقدس مكتوبا بلغته الأم لكي تحتكر مهمة التأويل على خاصة الناس دون عامتهم،" حيث هدفت هذه الحركة إلى التجديد في الفكر

---

[1] فريدريك لونوار، **في السعادة رحلة فلسفية**،(د.ط)، دار التنوير للطباعة والنشر،(د.ب)، 2016م، ص219.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت، 2005م، ص165.

*__التأويل (Hermeneutics) لغة__: الترجيع والرد والتفسير والتدبر وحسن التقدير.

__اصطلاحا__: رد الشئ إلى غاية المراد منه،علما كان أو عملا.(مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص158).

التأويل: مشتق من أول وهو في اللغة الترجيع نقول أوله فهو رجعه، أما عند علماء اللاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها الخفية.(جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص134).

__عرفه الجرجاني__: في الأصل الترجيع، وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحمله إذ كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة.(الجرجاني، **معجم التعريفات**، المرجع السابق، ص46).

[3] كيحل مصطفى، **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون**، ط1، دار الإيمان، الرباط، المغرب، 2004م، ص56.

المسيحي الديني وهي محاولة تظهر مع كل عصر وفي كل فكر، لقد سعت هذه الحركة إلى التخلص من سيطرة الكنيسة ، الكاثوليكية مع محاولة العودة إلى جوهر المسيحية وقيمتها بعيدا عن تأويلات الرهبان وانحرافات القساوسة"[1].

كان الإصلاح يتبنى فكرة واحدة وهي عقلنة **النص المقدس** إذ تهدف هذه الدراسة إلى إجراء نوع من المقارنة أو المقاربة بين النص الأصلي والنص المقلد من طرف مؤولين آخرين ومحاولة تأويله بالعقل.

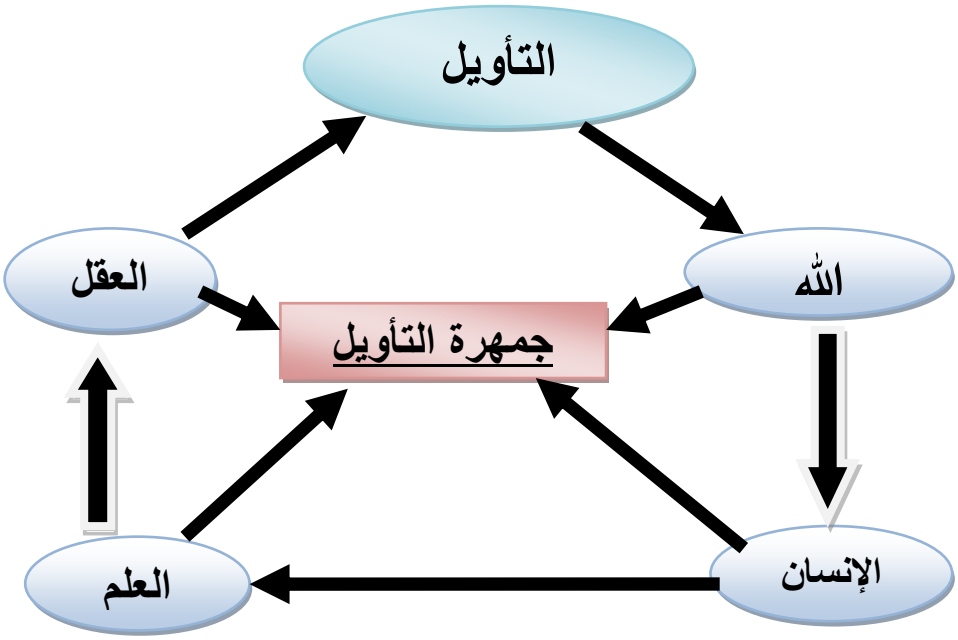

" قام لوثر بأول ترجمة **للكتاب المقدس** باللغة الألمانية،ما سمح بفهم الكتاب المقدس وسمح بالتفسيرات المتعددة لتعاليم المسيحية ولقد أحرق"لوثر" في 1510م،قرار طرده من الكنيسة الكاثوليكية مؤيدا بذلك أول مذهب للبروتستانتية[2].

إذ سجل التاريخ الغربي أحداث ظلت تهيمن على الفكر الفلسفي الغربي ابتداء من "**أفلاطون**" و "**أرسطو**" وصولا إلى أقطاب الفلسفة الحديثة عامة و"**سبينوزا**" خاصة، إذ ذكر "**سبينوزا**" شخصين

[1] خنوس نور الدين، **الاتجاهات العامة لإشكالية التأويل ونقد النص المقدس بين سبينوزا ومحمد أركون**، مجلة تاريخ العلوم، العدد 12/10، المركز الجامعي البيض،2017م، ص02.

[2] بول تيليش، **الشجاعة من أجل الجود**، تر:كمال يوسف حسين، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،1987م، ص89.

كان لهما الأكثر في الفلسفة اليهودية هما **ابن الفخار** و**ابن ميمون**، " لقد ذهب **ابن ميمون** والتيار المنادي بإخضاع النص اللاهوتي للعقل إلى القول أن تعارض العقل مع النقل، أي المعنى الحرفي يستوجب تأويل معتبرا أن النص يحمل معاني متعددة قد تكون متعارضة والأكثر اتفاقا مع العقل هو الأصوب لأن أي تفسير حرفي للنص يظهر أنه مناقض للعقل وجب إعادة تفسيره تفسيرا آخر وإعادة عملية تأويله"[1].

رفض "**ابن ميمون**" كل التأويلات التي تتعارض وطبيعة العقل والتفسير الذي نادى به لا يفسر النص بقدر ما يتدخل فيه ومنه كان يمارس نوع من التأويل التعسفي وهذا ما أكد عليه "**سبينوزا**" كذلك رفض منهجه المتبع في عملية **التأويل** وأن هناك أشياء كثيرة لا يمكن إدراكها بالنور الفطري بل يجب إدراكها بنور يفوق الطبيعة يقول **سبينوزا**:

" لا يتطلب منهج التفسير إلا النور الفطري الذي يقتضي استنباط الأشياء الغامضة من الأشياء الواضحة وهو منهج يسير للغاية،إلا أنه استعصى على الناس لطول نسيانهم له وليس هناك ما يدعي نورا فوق نور الطبيعة وذلك لأن كل ما يقال عنه تفسير بنور فوق الطبيعة ماهو إلا ابتداع إنساني محض"[2].

ومنه رفض" **سبينوزا**" منهج "**موسى ابن ميمون**" الذي يقر أن كل معاني النص متعارضة وأصلها متفق مع العقل.ونظرا لهذا التعارض الحاصل بين الحكمة والشريعة وجب تأويل النص والتفسير الميموني يتبنى مجموعة افتراضات لا يمكن البرهنة عليها، إذ أن "**سبينوزا**" يرى أن الأنبياء على اتفاق في جل الموضوعات ،إذ هم يعانون من وهم في عملية عقلنة النص بمعنى يعتمدون على الخيال والوهم في تفسير النص المقدس، كذلك الأمر بالنسبة إلى "**ابن الفخار**" إذ أنه أكد على ضرورة إخضاع النص المقدس إلى العقل في عملية التأويل." لقد ترك الفخار مجموعة من المسائل دون الحلول منها على سبيل المثال:ما الموقف الواجب اتخاذه في حدين النص عن الله كإنسان؟ فتنسب إليه الأهواء والعواطف فهذه أسئلة تركها الفخار دون إجابة تكشف عن أزمة

[1] منذر شباني،**اسبينوزا واللاهوت**،(د.ط)، منشورات وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2009م، ص99.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص42.

التأويل عموما ما يجعل كلا المذهبين يذهبان إلى البطلان والإختلاف في أزمة التيار النصي مع أزمة التيار العقلي فكلاهما يزيد الأمور تعقيدا"[1]

المطلب الثاني :مبررات التأويل السبينوزي وحدوده .

لقد بدأ التحرر من هيمنة وسيطرة الكنيسة باكرا،إذ رأى "**سبينوزا**" أن المفاهيم الدينية التي أتت بها الكنيسة هي مفاهيم مصطنعة من طرفها و حارب طريقة تفسيرهم للدين من خلال كتابه **اللاهوت والسياسة**، إذ قدم تأويل وقراءة جديدة للنص المقدس وأكد على التأويل المستحدث والحرية الفكرية .

"عمد سبينوزا إلى هدم الميتافيزيقا القائمة على الوعي اللاهوتي أو مفرازات الكنيسة الخرافية وهو ما ذهب إليه **ألتوسير*** لاحقا.(إن الطابع المؤسساتي للحقيقة هو الذي يؤدي إلى وجود صراع الحقيقة وليست السلطة لأنها نتيجة إكراهات متعددة ،إنه من غير الممكن تاريخيا أن يسجل نهاية لهذه الأطروحات الإصلاحية مع هذه الفئة من الفلاسفة الذين نقدوا الكتاب المقدس بالاعتماد على المناهج التي كانت متاحة كالنقد الفيلولوجي والتاريخي"[2].

أكد **سبينوزا** على ضرورة محاربة التأويلات البعيدة للنص المقدس والخاطئة إذ نقد علماء اللاهوت في تفسيراتهم السابقة، ودعى إلى ضرورة استخدام المنهج الصحيح في تفسير **الكتاب المقدس** إذ أن هذا المنهج هو **المنهج التأويلي العقلي** والذي يعتبر منهج البحث الطبيعي الذي لاقى صدى وقبول كبيرين في أوساط الفلسفة الحديثة فيقول:" أعتقد أنني بنيت على هذا النحو المنهج الصحيح لتفسير الكتاب المقدس وشرحت فيه الكفاية في معالجة هذا الموضوع ولاشك

---

[1] منذر شباني، **اسبينوزا واللاهوت**، المرجع السابق، ص101.

*__ألتوسير (1918م-1990م):__ لوي بيير ألتوسير ولد في 16 أكتوبر1918 في بئر مراد رايس (بيرماتدريس) ضواحي الجزائر العاصمة، كان أجداده من السود الذين استوطنوا في الجزائر أبوه ملازم في الجيش، من الفلاسفة الماركسيين الأكثر تأثيرا في القرن العشرين (20) من مؤلفاته: المسيحية والماركسية، الأعمال المبكرة، الفلسفة الإجتماعية والسياسية.(**موسوعة ستانفورد، لوي ألتوسير**،المرجع السابق، ص ص03 ، 04).

[2] خنوس نور الدين، **الاتجاهات العامة لإشكالية التأويل ونقد النص المقدس بين سبينوزا ومحمد أركون**، المرجع السابق، ص04.

عندي أن كل شخص يرى الآن أن كل هذا المنهج لا يتطلب سوى النور الفطري، ذلك لأن طبيعة هذا النور وصفته المتميزة تنحصر في استنباطه للأشياء الغامضة واستخلاصه إياها بوصفها نتيجة مشروعة من الأشياء المعروفة ولا يتطلب منهجا أكثر من هذا"[1].

يرى"**سبينوزا**" أن المنهج الأصح والأصدق الذي يهدف إلى النقد التاريخي هو المنهج التأويلي العقلي الذي يتفق في منهجه في تفسيره للطبيعة.

"وجاء اقتراح سبينوزا لهذا المنهج من منطلق وجوب التفكير في وسيلة شفاء العقل وتطهيره، وجعله وسيلة للتمييز بين ضروب المعرفة وتقدير حتمية كل منهما للاهتداء إلى المعرفة الحقة التي تنحصر في ثلاثة ضروب: الإستقراء العامي أي إدراك الجزئيات أما الثانية:معرفة عقلية إستدلالية أما الثالث معرفة عقلية حدسية"[2].

فهذا التمييز بين أنواع المعرفة عند **سبينوزا** التي أولها المعرفة الإستقرائية التي تنطلق من إدراك الجزئيات وصولا إلى الكليات،أما الثانية المعرفة الإستنتاجية التي نستنتج شئ من شئ آخر، فالمعرفة التي نكتسبها عن طريق الأخبار هي أول أنواع المعرفة كمعرفة اسمي وعمري، أما الثانية هي تلك التي تكتسبها عن طريق التجربة،كمعرفتنا أن الماء يتبخر عند درجة الحرارة 100°، أما الثالثة والأخيرة التي تتأتى لنا بواسطة **الحدس***، وهي أرقى أنواع المعرفة وأصدقها، أما الدين عند"**سبينوزا**" هو الخادم للناس الضعفاء والبسطاء "في الواقع أن سبينوزا كان يعترف أن الدين يؤمن للناس البسطاء الطمأنينة النفسية التي لا يمكن أن يجدوها في مكان آخر وبالتالي فمن غير

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص04.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص109.

*__الحدس Intuition:__لغة: الظن والتخمين. عرفه **ابن سينا**: الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذ وضع المطلوب، أو إصابة الحد الأكبر إذ أصيب الأوسط وبالجملة سرعة الإنتقال من معلوم إلى مجهول ، (مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص270).

وورد في المعجم الفلسفي **__أندريه لالاند__**: هو معرفة حقيقية بينة مهما تكن طبيعتها، تستعمل مبدأ الإستدلال النظري وتدور حول الأشياء وحول علاقاتها أيضا.(أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المرجع السابق، ص701)

المعقول أن يحرمهم من هذه الطمأنينة التي لا يمكن الإنسان أن يعيش بدونها"[1].مما جعلنا نتساءل **ماهو الموقف الذي تبناه سبينوزا من حقيقة الخطابات والنصوص الدينية المقدسة؟** والإجابة هي:" رفضها رفضا قاطعا وفق مبدأ عدم التناقض وهو مبدأ أساسي في المنهج الرياضي الذي قال به ديكارت وتبناه سبينوزا لكنه سرعان ما تدارك أخطاء هذا المذهب"[2].

المطلب الثالث: ديالكتيك الدين والفلسفة عند "سبينوزا ".

مسألة العلاقة بين **الدين والفلسفة** من أكثر المسائل تداولا في فلسفة الدين نظرا لظهور تأويلات ملازمة للنص الديني، إذ نجد أن هذه المسألة عرفت رأيين أو اتجاهين فكريين اختلفوا حول ضرورة إخضاع النص المقدس إلى العقل، وآخر أكد على عدم الخضوع في المسائل الدينية.

يقول **سبينوزا:**" للعقل مملكة الحقيقة والحكمة واللاهوت مملكة التقوى والخضوع إن قدرة القول لا تذهب إلى حد يستطيع معه أن يقرر إذا كان الناس يستطيعون الحصول على السعادة بالطاعة وحدها دون معرفة بالأشياء وفي مقابل ذلك لا يدعي اللاهوت إلا هذا ولا يوحي إلا بالطاعة ولا يريد أو يستطيع أن يفعل شئ مضادا للعقل"[3].يتبنى **سبينوزا** موقف **الفصل التام بين الدين والفلسفة** إذ يقوم كل واحد على مبادئ ومناهج ينفرد بها في مجاله ،إذ تختلف **الفلسفة والدين** في طبيعة:**اللغة،المنهج،الموضوع.**

- **أسباب فصل "سبينوزا" الفلسفة عن الدين:**

أولا– "إن الخوف هو سبب الخرافة الذي يعتمد على التمني والحقد والغضب والخداع،فهي تقوم على الانفعال وليس العقل إن الخرافة هي أكثر الوسائل فاعلية لحكم العامة والسيطرة عليها باسم الدين،والأحكام المسبقة لرجال الدين نفسها هي التي تعيق الناس بالخصوص عن توحيد أذهانهم نحو الفلسفة"[4]. الخوف الذي يقوم على صفتي التمني والحقد والغضب، هي صفات تقوم

[1] صالح هاشم، **مدخل إلى التنوير الأوروبي**(د.ط)، دار الطليعة، بيروت،2005م، ص206.

[2] منذر شباني، **فلسفة الدين عند سبينوزا**، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية،ع03، المجلد37، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية،2015م، ص432.

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص360.

[4] المصدر نفسه ، ص111.

على الانفعالات وليس على العقل، فإذا سادت الخرافة ذهب العقل وساد الجهل إذ تسيطر على الناس باسم الدين.

ثانيا- " لم يبقى من الدين إلا العبادة الخارجية إذ لم يعد الإيمان إلا تصديق أعمى بأوهام متعصبة"[1].

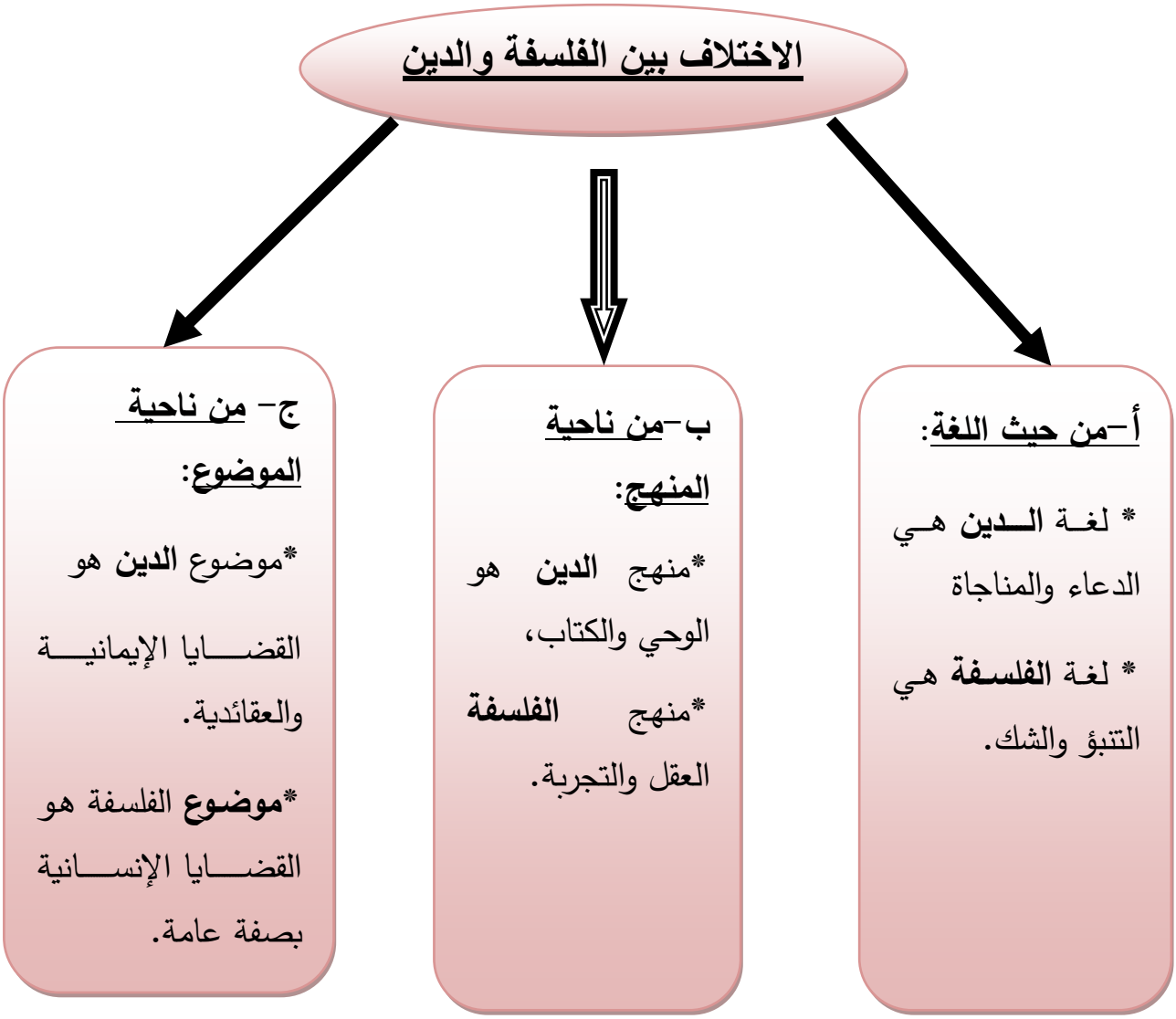

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص113.

المبحث الثالث: نقد النص المقدس.

المطلب الأول: مناهج "سبينوزا" في النقد.

أولا: المنهج التحليلي النقدي:

نجد أن" **باروخ سبينوزا**" استخدم هذا النوع من التحليل في كتابه" **رسالة اللاهوت والسياسة**" إذ نلمس ضبط للمفاهيم والتصورات بغرض ضبطها في الذهن، بالإضافة إلى المقارنة بين المفاهيم وهذا ما نلمس في قوله :" نتساءل أولا ما النبي؟وما الوحي؟و مامضمونه الأساسي وما المعجزة؟ وهكذا بادئين بأكثر الأشياء شمولا،ثم نهبط منها إلى الأفكار الخاصة بكل نبي،ونصل بعد ذلك إلى معنى كل وحي أتى به نبي وكل رواية وكل معجزة"[1].

كما أكد على أهمية النقد الداخلي للوثائق التاريخية ويظهر ذلك قوله:" فمادام منهجنا القائم على هذه القاعدة التي تنص على أي معرفة الكتاب تستمد من الكتاب نفسه هو المنهج الوحيد والصحيح ، علينا ألا نعلق أملا على إمكان الاهتداء بأي وسيلة أخرى ما لم نستطيع أي يعطينا إياه حتى نحصل على معرفة شاملة للكتاب"[2].

ثانيا: المنهج النقدي التاريخي:

يعد" **سبينوزا**" من أهم نقاد النص المقدس في العصر الحديث وذلك في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"، إذ يعتبر تحقيق في البحث والدراسة النقدية التاريخية **لأسفار النص المقدس** فيعد من أوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى للنقد التاريخي **للنص المقدس** يقول **توملين:**" لم يظهر ما يسمى باسم النقد السامي للكتاب المقدس في القرن السابع عشر م (17)، لقد بدأه سبينوزا"[3]. إذ أكد "**سبينوزا**" على أن **النقد التاريخي** سابق على الإيمان بمصدر إلهي للكتاب المقدس وهو الضامن لصحته من حيث هو بمثابة وثيقة تاريخية يحتوي على الوحي الذي مصدره إلهي فتحتاج هذه الوظيفة إلى تحليل دقيق يستوفي كل عناصر التحليل ،وهذا ما قاله **حسن حنفي:**

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص241.

[2] المصدر نفسه، ص258.

[3] أ.ف توملين، **فلاسفة الشرق**، تر:عبد الحليم سليم، ط2، دار المعارف، القاهرة ،1980م، ص100.

"إن منهج سبينوزا في تفسير الكتاب المقدس هو النقد الداخلي الذي يعتمد على العقل وعلى هذا الأساس يرفض نظرية موسى بن ميمون التي تفسر الكتاب بالعقل أو بمبادئ خارجة عنه وذلك لأن الأسرار والمعجزات والإيمان والوحي كل ذلك ليس غريبا على العقل الصحيح"[1].

بمعنى أن **سبينوزا** خالف "موسى بن ميمون" في فكرة التفسير العقلاني للنص المقدس، فحسبه المعجزات والنبوة والوحي والإيمان كلها تستطيع أن تفسرها عقليا لأنها ليست غريبة عنه " إن مناقشة سبينوزا لكل من العهد القديم والجديد جديرة بالاحترام وتكشف عن اعتقادات دينية صادقة وجدية...لقد كان سبينوزا أول فيلسوف تجرأ أن يتحدث على هذا النحو لا تحفظ في هذه المسائل"[2].

فخرج **سبينوزا** عن المألوف بتناوله لموضوع نقد **النص المقدس** من الجانب الداخلي والخارجي،عكس ما تم التنظير له من قبل الأسبقين كابن ميمون مثلا الذي تناوله من جانب الصحة والخطأ واعتبره أنه كلام الله ولا يمكن أن نشك فيه، أما **سبينوزا** كسر القاعدة وخالفها وأكد أنه يمكن أن نشك في مصداقية وصحة كلام النص، كما أكد على أن هذا التأويل يضم عامة الناس لا خاصتهم وخالف **ابن رشد** في رأيه القائل أن التأويل محصور فقط على النخبة والفلاسفة.

إذ يكمل **حسن حنفي** ويقول:" لم يتناول النقاد قبل سبينوزا إلا موضوع صحة الموضوع لكن سبينوزا هو الذي أسس منهج النقد التاريخي القائم على النقد الداخلي والخارجي على السواء كما يرمي إلى غاية فلسفية بعيدة هي التحرر وبذلك يمتاز سبينوزا عن ريتشارد سيمون ومؤلفاته النقدية التي كان يرمي بها فقط إلى دراسة صحة النصوص دون وضع سلطة الكتاب موضع شك لأنه كلام الله بالمعنى التقليدي"[3].

---

[1] حسن حنفي، **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1980م، ص243.

[2] ويليام كلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص221.

[3] حسن حنفي، **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، المرجع السابق، ص243.

ومنه "**سبينوزا**" أحدث تصور جديد لمعنى **النص المقدس** باقتراحه لمنهج قراءة الكتاب ونقده، ليجعل منه منهجا مناسبا لتفسير الظواهر الطبيعية من منطلق أن الكتاب عندما يكون في موضع تحليل يكون شأنه شأن الظاهرة الطبيعية، إذ هذا التحليل يكون عن طريق النور الطبيعي كما سماه"**سبينوزا**" أما الإدعاء بفكرة أن هناك معرفة أخرى تتجاوز المعرفة النورية الطبيعية فهي باطلة.

" هناك صعوبة أخرى في هذا المنهج تأتي من أنه يتطلب المعرفة التاريخية للظروف الخاصة لكل أسفار الكتاب وهي معرفة لا تتوافر لدينا في معظم الأحيان والواقع أننا نجهل تماما مؤلفين كثيرين هذه الأسفار أو نجهل أشخاص كتبوها أو نشك فيهم"[1].

فمعرفة ظروف الكتابة هي شرط من شروط **القراءة التأويلية** عند "**سبينوزا**" وذلك بضرورة معرفة وقت وظروف كتابة النص المقدس، يقول **سبينوزا**:"الفحص التاريخي لكتب الأنبياء أعني سيرة مؤلف كل كاتب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي إليها، ومن هو وفي أي مناسبة كتب كتابه؟ وفي أي وقت ولمن؟ وبأي لغة كتبه؟ كيف جمع أولا؟ وما الأيادي التي تناولته؟وكم نسخة مختلفة معروفة عن النص؟ ومن الذين قرروا إدراجه في الكتاب المقدس؟ وأخيرا كيف جمعت الكتب المقننة في مجموعة واحدة؟"[2].

إن هذا **التحليل الكرونولوجي** حسب "سبينوزا" يجب أن يضم جميع الأسباب التي أدت إلى ظهور الكتاب المقدس حيث بدأ من سيرة المؤلف الذي كتب هذا الكتاب وأكد على ضرورة معرفة أخلاقه، لأن الكتاب هو انعكاس وتجسيد لها،وما الهدف المنشود من كتابته لهذا النص؟ ولأي سبب أو غرض تم كتابته؟وبأي لغة كتب بها؟ ولأي ظروف اجتماعية؟ وكم من نسخة نسخ عنه؟ للابتعاد عن خطر التحريف ومن جمعه في كتاب واحد مع الكتب المحرفة؟ إذ كل هذا الفحص يهدف إلى التحقق من صحة هذا الكتاب أنه ليس محرف وأنه ليس مكتوب لظروف شخصية أو لتحقيق منافع ومصالح ذات مصلحة ذاتية وهذا ما أكد عليه **سبينوزا** في قوله: "ومن ناحية أخرى

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص246.

[2] المصدر نفسه ، ص238.

لا ندري في أية مناسبة وفي أي زمان كتبت هذه الأسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولا نعلم في أيدي من وقعت وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد نسخ المتباينة ولا نعلم إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرى في مخطوطات من مصدر وأخر"[1].

كذلك أشار "**سبينوزا**" أن **النص المقدس حافل بعدة نقائص منها**

– **النصوص الدينية** متلاحقة مثل قصة التي لا تنتسب فيما بينها كرونولوجيا إذ دمجوها مع قصة النبي "يوسف" عليه السلام.

– **النص المقدس** حافل بالثغرات والمقاطع المفقودة مثل قصة "هابيل وقابيل" وهنالك تكرار وحشو للأحداث وروايات لا عقلانية مثل قصة أبناء **يعقوب**" **لاوي**" و"**شمعون**".بعمر الثلاثة عشر سنة(13 عاما) واثنتي عشرة سنة(12 عاما) واستطاعوا أن يحتلوا مدينة بأكملها.يقول **سبينوزا:** "من كل هذا نستنتج بوضوح أننا لا نستطيع أن نقيم حسابا زمنيا مضبوطا للسنوات معتمدين في ذلك على الروايات نفسها وأن دراستها لا تؤدي إلى التسليم بصحة واحدة منها إلى وضع افتراضات مختلفة"[2] .

بمعنى هذه القصص جمعت من عدد من مؤلفين وأدرجت في نص الكتاب المقدس قبل ترتيبها وفحصها وهذا ما دفع به إلى وضع **منهج نقدي هيرمينوطيقي** للعهدين القديم والجديد، فعمل على ضرورة تدبير العقل في فحص **النص المقدس** والفصل بين العقل والنقل والتي لم يتجرأ "**لابن ميمون**" ولا غيرهم على فصله لأنه لا يناقض بين الحقيقة الإلهية والحقيقة الفلسفية.

إذ يقول في كتابه" **أفكار ميتافيزيقية**":" الحقيقة لا تناقض الحقيقة ولا يمكن للكتاب أن يلقن حماقات كالتي تصورها العامة،إذ لو ألفناه متضمنا بعض الأمور المتناقضة للنور الطبيعي، لا يمكننا رفضها بالحرية نفسها التي بها ترفض التلمود لكن حاشانا التفكير في إمكان احتواء الكتب المقدسة على أمور متناقضة للنور الطبيعي"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص ص246،247.

[2] المصدر نفسه ، ص ص286،287.

[3] سبينوزا، **أفكار ميتافيزيقية** ، تر:جلال الدين السعيد، (د.ط)، المركز الوطني للترجمة، تونس،2015م، ص159.

كذلك نقده لتاريخانية **الأسفار الخمسة***، لكونها تحمل أحداث متناقضة ومتقطعة تاريخيا وهذا مانجده في "التثنية وقد كتب موسى هذه التوراة ويستحيل أن يكون موسى هو قائل هذه العبارة بل القائل غيره وورد في التكوين،في معرض الحديث عن رحلة إبراهيم في بلاد الكنعانيين والكنعانيون حينئذ في هذه الأرض ."[1]

هذا يدل بوضوح على أن الكنعانيين لم يكونوا في هذه الأرض وقت كتابة هذا السفر، أي أن السفر قد كتب بعد موت "موسى" وطرد الكنعانيين لأنهم في زمن موسى لم يملكون هذه الأرض.

"وورد في سفر التثنية ولقد بقى عوج الملك بائسان وحده بين العمالقة الآخرين وهاهو سريره سرير من حديد، هذا السرير الذي طوله تسعة أذرع الموجودة في الرباط عند الأطفال آمون"[2].

هذا النص من الإصحاح الثالث يدل على أن كاتب هذه الأسفار عاش بعد موسى بمدة طويلة حيث يروي قصة قديمة ويدعمها بالآثار الباقية وقد اكتشف هذا السرير في عصر داوود النبي الذي استولى على الرباط بالمغرب، إذ أعطى أدلة كثيرة في **قوله:**" نجد أن الله مع موسى،كان الله مع موسى،كان موسى رجلا حليما،موسى رجل الله،لقد مات موسى خادم الله"[3].

ضف إلى ذلك أن موسى بعد موته لم يعرف أحد قبره إلى حد اليوم يقول سبينوزا: "ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا"[4].

كذلك الأماكن لم تطلق عليها أسماء في زمن "موسى" بل أسموها بعد وفاته،ومن هذا النقد استخلص "**سبينوزا**" أن "موسى" لم يدون أي سفر من أسفار التوراة، بل كتبها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل وبعد كل هذا يتبادر إلى أذهاننا كمسلمين أولا وأننا نعلم أن الدين الوحيد

---

*__**الأسفار الخمسة**__: هي الإسم السامي أو العبارة اللاتينية التي أطلقت في الفرنسية :الأسفار الخمسة تعني مؤلفا من خمسة أجزاء التكوين، الخروج ،اللاويون ،العدد ،التثنية، التي تشكل العناصر الخمسة الأولى من مجموعة التسعة والثلاثين(39) كتابا من العهد القديم. (موريس بوكاي، **التوراة والانجيل والقرآن والعلم**، تر:حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت،1411هـ-1990م، ص31).

[1] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق ، ص154.

[2] المرجع نفسه، ص155.

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص261.

[4] المصدر نفسه، ص261.

والصحيح هو الإسلام أما البقية هي مجرد شرائع سماوية، وأي أحد له الفضول في اكتساب المعرفة في الجانب الديني، أو الاهتمام بفلسفة الدين ومقارنة الأديان، يتساءل من كتب الأسفار الخمسة لليهوديين الذين أصروا على أنهم شعب الله المختار وأنهم على الملة الصحيحة والباقي على خطأ، بل حتى أنهم يحرمون على أنفسهم التقرب من معرفة الدين الإسلامي، وهذا راجع إلى التعصب والتشدد الديني الذين يمتلكونه كل هذه التساؤلات يجيبنا عنها "**سبينوزا** في قوله:

" إذا نظرنا الآن إلى تسلسل هذه الأسفار كلها وإلى محتواها لرأينا بسهولة أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هم المدينة،لأول مرة والواقع أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفي وحدها لإثبات أنها تَضم راوية لمؤرخ واحد فبمجرد انتهائه من قصة حياة موسى انتقل مباشرة إلى قصة **يشوع***"[1].

بمعنى أن الأسفار كتبت من طرف شخص واحد وانكشف أمرها عن طريق تسلسلها حيث بدأت من قصة حياة "موسى" وصولا إلى قصة "يشوع" بطريقة استرسالية وبدون انقطاع بين فترة تاريخية وأخرى ، لأننا نعرف أن التاريخ يشهد أزمات من حين إلى أخر وهذا ما لم يتطرق له **النص المقدس**، بحيث أنه جمع كل الأحداث في تاريخ واحد وهذا يستحيل أن يكون أي أنه لكل فترة زمنية تاريخ وحادثة خاصة، بها كذلك الخلط في الأزمنة والتكرار لنفس الأحداث كما يقول **سبينوزا**:" فإذا أخذنا في اعتبارنا هذه الخصائص الثلاث: وحدة الغرض في جميع الأسفار وطريقة ربطها فيما بينها وتأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عدة نستنتج من ذلك كما قلنا من قبل أن مؤرخا واحد هو الذي كتبها"[2].

وبعد أن يثبت أن الأسفار ليست من تأليف موسى يثبت أنها من إنتاج مؤلف آخر إذ يستخلص سبينوزا من ذلك وجود ثلاثة خصائص في الأسفار كلها هي:

---

*__**يشوع**__ : هو المقابل العربي للإسم العبري "يهوشواع" ومعناه "يهوه هو الخلاص" ويشوع بن نون كان اسمه في البداية "شواع" وهو يسمى أيضا "يوشع"، وهو خليفة موسى وخادمه.(عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهودية والصهيونية**، المرجع السابق، ص378).

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص268.

[2] المصدر نفسه، ص269.

" وحدة الغرض في جميع الأسفار.

وحدة طريقة الربط الصحيحة بين الأسفار.

تأليف الأسفار بعد الحوادث المروية بقرون"[1].

وحدة الغرض حسب "**سبينوزا**" هي أن الأسفار تبدأ بقصة النشأة إذ تخبرنا عن المناسبة والوقت الذي أدى بموسى إلى قيام دعوته إلى النبوة ثم تفسر كيفية إستلائهم على الأرض وصولا إلى الانسلاخ عن شريعتهم ما نتج عنها من مصائب وعواقب.

أما الخاصية الثانية: وحدة الربط: هي بعد الإنتهاء من قصة النبي موسى تبدأ قصة يشوع. ثم يعالج "**سبينوزا**" موضوع الأسفار الخمسة التي كتبها موسى نفسه.

" أما أسفار اليشوع يقر سبينوزا أنه لم يكتبها استنادا إلى أن هناك عبارات بالسفر لا يمكن أن تصدر عن يشوع كقول بأن يشوع قد طبقت شهرته الآفاق وأنه لم يغفل شيئا مما أوصى به موسى وأنه عندما تقدمت به السن دعا الجميع إلى المجمع ثم قضى نخبه"[2].

هذا يدل على أن السفر كتب بعد يشوع بقرون عديدة ومن كل هذا يلخص سبينوزا إلى الخلاصة التالية:" ولما لم يكن من الثابت أن موسى لم يكتب أسفارا أخرى سوى هذه الأسفار ولم يوصي بنفسه المحافظة دينيا للأجيال القادمة إلا على سفر التوراة الصغير والنشيد،وأخيرا لما كانت توجه نصوص كثيرة من الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها"[3].

نجح "**سبينوزا**" في إظهار المناهج **الميتودولوجية*** التي تعتمد على النسقية، النسقية هي من خصائص الفلسفة الغربية الحديثة إذ لا يمكن الفصل بين ماهو معرفي يقيني وماهو ميتودولوجي،

---

[1] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق ، ص159.

[2] المرجع نفسه ، ص157.

[3] المرجع نفسه ، ص نفسها.

*__الميتودولوجيا:__ فرع من المنطق موضوعه الدرس اللاحق للمناهج والطرق، وبنحو أخص عادة درس المناهج العلمية. (أندريه لالاند،**موسوعة لالاند الفلسفية**، المرجع السابق، ص204 ،205).

إذ تجاوز التفسيرات الخرافية الزائفة **للنصوص الدينية والخطابات المقدسة** عن طريق النقد للكتاب المقدس

رابعا: المنهج التأويلي:

اعتماده على المنهج التأويلي يظهر في أنه:" انتقل من الفهم الكلي والتأمل الذي يختزنه النص إلى فهم أجزائه فنجده يرفض المعجزات، ونجده يحاول أن يبحث عن الأسس الأيديولوجية التاريخية للوقائع"[1]. رجح "**سبينوزا**" أسباب ثوراته على **تأويل النص المقدس** وخصوصا في ثلاثة أسباب رئيسية وهي يقول " إني منكب حاليا على إعداد مصنف حول رؤيتي للكتاب المقدس وأن الأسباب التي دفعتني إلى ذلك هي:

1- أحكام اللاهوتيين السابقة ومن المفيد أن أفضحها وأخلص العقول النيرة منها.

2- الفكرة التي يملكها عني العامي وهي اتهامي بالإلحاد.

3- حرية التفلسف والجهر برأينا"[2].

ومنه **أسباب تأويل النص المقدس عند**"**سبينوزا**" فيما يلي:

- التأكيد على حرية الفكر والتعبير في المسائل الدينية.
- اعتبار أن الكتاب المقدس هو كتاب الله وليس القديسين والأنبياء من أتوا به.
- هدفه تعليم السعادة وفضيلة العدالة ، وليس العكس بمعنى هدفه تخويف الناس وإرهابهم واستعبادهم من طرف الكنيسة.
- التفسيرات اللاعقلانية حسب "**سبينوزا**" هي التي أبعدت الناس عن جوهر الدين الحقيقي وذلك بإتباعهم لتأويلات الباباوات والقساوسة الخاطئة، " فملخص القول أن سبينوزا لا يرضى لا بتأويل مجازي للكتاب المقدس ولا بالفهم الحرفي له،لا بالإفراط في العقل ولا بالتفريط فيه أما المنهج القديم في رأيه هو شرح الكتاب المقدس **بالكتاب المقدس** نفسه ذلك لأن الكتاب يتناول

[1] أيوب عماري، **معالم المنهج السبينوزي في الفكر الفلسفي**، مجلة لوغوس، مخبر الفلسفة وتاريخها ، العدد 8/7 سبتمبر 2017م، ص168.

[2] زاك سيلفان، **اسبينوزا وتأويل الكتاب المقدس**، (د.ط)، دار Puf، باريس،1965م، ص41.

الكثير من الموضوعات التي لا يمكن استنباطها من المبادئ التي نعرفها بالنور الطبيعي وهي موضوعات للوحي"[1].

بمعنى عدم الخلط الكلام الوارد في النص المقدس وبين حقيقة الأشياء وماهيتها التي يجري عليها الكلام، ونقصد بين المعنى الحقيقي للكلام وبين المعنى المجازي وذلك بشرح الكتاب بنفسه ،لأنه يتناول أحيانا أمور خارجة عن سيطرة العقل وموضوعات الوحي التي اعتبرها "**سبينوزا**" من الخيال الواسع واحدة من هذه المواضيع يقول **سبينوزا:**" إننا لا نستطيع أن نبرهن بهذه الأفكار على أن الكتاب يعطي هذه التعاليم،لأن ذلك أمرا لا يمكن البرهنة عليه إلا بالكتاب نفسه،يجب أن نبرهن بالكتاب نفسه على أنه يعلم الحقيقة الخلقية"[2].

يقال أنه متأثرا **بالمسيحية** إذ أنه نبذ **اليهودية** واتجه تفكيره إلى المسيحية وهذا ما أكد **فؤاد زكريا** في قوله: "لقد أدت هذه المحاباة الواضحة للمسيحية في البحث اللاهوتي إلى الإعتقاد بعض شراح سبينوزا حيث نبذ اليهودية وقد اتجه بتفكيره إلى دراسة المسيحية عن إيمان صحيح بها أو أنه تأثر بتعاليمها وفضلها على سائر العقائد"[3].

بحثه في اللاهوت والسياسة يظهر تحيزه الواضح للمسيحية لأنه لا يناقش الإنجيل في كتاباته، إذ نجده يناقش إلا التوراة وأسفار موسى الخمسة.

"يرى أن حرية التأويل يجب أن تكون نابعة من حرية داخلية يستشعر المؤول أنه لا أحد له الحق في احتكار فعل التأويل والحقيقة المرتبطة به، ما يعني إلغاء لأي سلطة كانت وفي معظمها سلطة الدولة أو الكنيسة"[4].

فحرية **التأويل الديني** ليس لأحد الحق دون غيره في احتكار فعل التأويل أي أن العمل الذي قام به **سبينوزا** موجه نحو كل سلطة لاهوتية،ويتجلى دفاعه عن حرية الفكر والعقيدة في أعماله إذ

---

[1] جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس**، المرجع السابق، ص73.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص235.

[3] فؤاد زكرياء، **سبينوزا**، المرجع السابق، ص180.

[4] خنوس نور الدين،**الاتجاهات العامة لإشكالية التأويل ونقد النص بين باروخ سبينوزا ومحمد أركون**، المرجع السابق، ص04.

ينطلق نقده بدءا من الكتاب المقدس الذي هو كلام الله يستهدف تعليم الناس السعادة الحقيقية غير أن تفسيرات القساوسة ورجال الدين أبعدت الدين عن جوهره الحقيقي.

" القاعدة العامة في تأويل النص المقدس أن لا يضاف إليه من التعاليم إلا ما يدل البحث التاريخي على أنه عمل بالفعل، يجب أن يتناول أولا طبيعة اللغة العبرية وخصائصها لكي نفهم المعنى المقصود تمام الفهم بعد الفحص عن مختلف معاني النص الواحد وثانيا جميع العبارات ونبدأ بالعبارات المبهمة"[1].

تأويل"**رويس**" لفلسفة "**سبينوزا**" كان الغرض منها إثبات أن لكل عصر خصائصه الفكرية، فإيمانه إيمان روحي كان نتيجة ما عاناه في "أمستردام" من حرمان وتكفير واتهام بالإلحاد، يقول **سبينوزا:**" عقدت العزم على أن أعيد من جديد فحص الكتاب المقدس بلا إيحاء وبحرية ذهنية كاملة ألا أثبت شيئا من تعاليمه أو أقبله ما لم أتمكن من استخلاصه بوضوح تام وعبر أساس هذه القاعدة وضعت لنفسي منهجا لتفسير الكتب المقدسة"[2].

دافع عن حرية **التأويل** في النص المقدس ودافع عن حرية الفكر ونقد تاريخيا أسفار الكتب المقدسة ، فشرط التأويل يعتمد على **المنهج العقلي** في الإصغاء إلى عبارات النص المقدس وذلك بالتجرد من كل الأحكام المسبقة والفطرية التي تكون في ذهن القارئ.

يرى **رويس** أن:" أفكار سبينوزا الدينية تشبه الأفكار التي وردت في كتاب محاكاة المسيح ونقطة البدء عنده في مقاله تحسين الفهم والجزء الخامس من الأخلاق إذ يرى أن الموضوعات لا تكون شريرة أو خيرة إلا بسبب العقل لأنها تستمد قيمتها منه"[3].

فكر "**سبينوزا**" نجد فيه نوع من الثبات في كل مواقفه الدينية وذلك باعتماده على الحدس والعقل ومنهج التأويل، إذ يعتبر أن المعرفة التجريبية لا أساس لها من الصحة وهي بمثابة الإنتقال من

---

[1] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص123.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص114.

[3] جوازيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، تر: أحمد الأنصاري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة،2003م، ص11.

العام إلى الخاص ، فلا يمكننا الإعتماد عليها لأنها تفتقر إلى ميزتين هما الوضوح والتمايز الذي نادى بهما "ديكارت".

رابعا: المنهج النقدي الفيلولوجي :

اشتغل "**سبينوزا**" على النقد اللغوي إذا أكد على أن لغة الكتاب المقدس ليست واحدة ،بمعنى أنها تطورت ومرت بمراحل وهناك تعابير في زمن التوراة أصبحت غير متداولة اليوم، ويظهر ذلك في قوله:

" يجب أن نفهم طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس والتي اعتاد المؤلفون التحدث بها، بذلك يمكننا فحص كل المعاني التي يمكن أن يفيدها النص حسب الإستعمال الشائع ولما كان جميع من قام بالتدوين سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد عبرانيين فلاشك من معرفة اللغة العبرانية ضرورية قبل كل شئ"[1].

إن هذا **النقد اللغوي** استلزم على "**سبينوزا**" أن يتعلم اللغة العبرية بل ويتقنها بالإضافة إلى تعلمه للتلمود يقول:" لا لكي نفهم أسفار العهد القديم المكتوبة بهذه اللغة فحسب،بل لكي نفهم أيضا أسفار العهد الجديد فهذه الأسفار الأخيرة مع أنها قد انتشرت بلغات أخرى إلا أنها مملوءة بالتعبيرات العبرية"[2].

سعى"**سبينوزا**" إلى قراءة وتأويل العهد القديم والجديد تستوجب التمكن من اللغة العبرية التي كتب بها النص المقدس، إذ اعتبره أنه جزء من الدين لأن الدين يشمل الجانب الروحي للإنسان وهذا ما يميزه عن الحيوان. فخطابه في الدين يشكل نقطة انعطاف في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة إذ ينطلق من مسألة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلى اعتباره أن **الكتاب المقدس** هو كلام الله الذي علم الناس السعادة والفضيلة ،إلا أن رجال الدين استغلوه ضد الإنسان ولفهم هذا النص لابد من إعمال العقل في الدين بمعنى عقلنة الدين يهدف تطهيره من كل تعليم لاهوتي إذ برهن أن الدين مرتبط بالنفس الإنسانية التي هي موضوع من مواضيع الحياة والإنسان وهذا

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص236.

[2] المصدر نفسه، ص236.

التطهير يكون بواسطة العقل يقول **سبينوزا:**" إصلاح العقل وجعله قادرا على إدراك الأشياء إدراكا يسمح لنا بلوغ الهدف المنشود...ونستنتج من ذلك يتعين إقصاء اليقين الحاصل عن طريق التسمع من العلوم وفعلا لا أحد يمكنه أن يتأثر بمجرد السمع ودونها نشاط عقلي مسبق"[1].

كذلك طرح إشكالية اللغة العبرية التي تم التدوين بها أسفار الكتاب المقدس، إذ لم يترك مدونيها ولا قاعدة أو مبدأ منها ومنه لا يمكننا قراءة النص المقدس قراءة تأويلية صحيحة وأن هذه اللغة تجعل من تأويل الأسفار الخمسة مهمة مستحيلة وصعبة كذلك فيها لتشابهات كثيرة.

يقول:" إذ يوجد فيها الكثير من التشابهات ما يستحيل العثور على منهج يسمح لنا أن نحدد عن يقين معاني جميع النصوص"[2].

فتشابه الحروف يصعب أمر التأويل في التوراة بإضافة واستبدال الحروف فمثلا حرف "**قد**" يعني:"**و**"، **ولكن**"،"**لأن**"،ونجد كلمة "**كي**" تشير: "**لأن،مع،أن**" كذلك الأفعال ليس لها مضارع أو أمر ويقول "**سبينوزا**" عن هذا الأمر:" أن العبرانيين ليس لديهم حروف تعادل الحروف المتحركة والثاني أنهم لم يتعودوا أن يقسموا كلامهم المكتوب وأن يبرزوا المعنى بصورة أقوى، أن تأكيده بعلامات ولاشك أن التغلب على هذين النقطتين بإضافة النقط والحركات"[3] .

اللغة العبرية لغة صعبة وغامضة ومتشابكة القواعد والحروف والمعاني، فالتجديد الذي مرت به هو تجديد وليد العصور المتأخرة من طرف اللغويين، إذ يجب عدم الخلط بين الكتاب الأصلي والكتاب المتأخر الذي ظهر مع علماء اللغة لذا لابد من القراءة الشكلية للنص المقدس ،إذ يؤكد أن لغة التوراة يغلب عليها المجاز والمجاز أمر متعمد ومقصود، إذ يقول **ايميل برييه:**

" في شرح سبينوزا لنصوص التوراة تدل الصور اللغوية التي يلفت النظر إلى كثرتها فيها(النفس، التجليات الإلهية)أن موسى والأنبياء يدينون بسلطانهم على العامي لقوة خيالهم"[4].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في إصلاح العقل**، تر: جلال الدين سعيد، ط2، مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2017م، ص ص34،31.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص244.

[3] المصدر نفسه ، ص245.

[4] ايميل برييه، **تاريخ الفلسفة**، المرجع السابق، ص227.

وهناك صعوبة أخيرة نجدها في تفسير أسفار الكتاب وفقا لهذا المنهج وهي أننا لا نملك هذه الأسفار في لغتها الأصلية أي في لغة كاتبها يقول:" لغة الإنجيل قد جاءت كلها مجازات واستعارات وهذا التزويق البياني معتمد فيه أولا بسبب النزعة الشرقية إلى الأدب وميله إلى التزويق اللفظي، وثانيا لأن الأنبياء القديسين لابد لكي يحملوا الناس على اعتناق مذهبهم" [1].

فتساءل عن اللغة التي كتب بها سفر أيوب **فإبن عزرا*** يؤكد في شروحه أنه قد ترجم إلى العبرية من أخرى وأن هذا سبب غموضه، وأشار إلى أن لغة الإنجيل كلها مجازات واستعارات، كذلك "اقتفاء التجديد الزمني في الصيغ الإخبارية والمصدرية والإنشائية، فلا يوجد في الصيغتين الإخبارية والمصدرية سوى الزمن الحاضر لذلك نجد الكتاب يستخدمون الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر والماضي بلا تمييز، كما استخدموا الصيغ الإخبارية للدلالة على الطبيعة الإنشائية وعلى صيغة الأمر، كذلك اقتفاء النقط والتشكيل وعلامات الترقيم والنسخ الأصلية في لغتها الأصلية"[2].

كما نجد أن "**سبينوزا**" نقد الأسفار الخمسة التي نسبت إلى النبي "موسى" باعتباره أنه هو أول من ألفها ، إذ أنه لم يكتب الأسفار بل كتبها شخص آخر عاش زمن موسى لقد ظن الجميع تقريبا أن موسى بل **الفريسيين*** أبدوا هذا الرأي بإصرار شديد وإن هو أول من تنبه إلى هذا الخطأ ولم

---

[1] مصطفى كريم فاضل الخفاجي، **فلسفة الدين والسياسة عند باروخ سبينوزا**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، مركز بابل للدراسات الحضارية التاريخية ، المجلد 1 ، العدد 3، 2020م، ص315.

*__ابن عزرا EZRA__: هو إبراهيم ابن عزرا ولد في الأندلس عام1092م،نشأ في طليطلة، ثم انطلق منها وتعرف على علماء العصر تلقى جميع أنواع العلوم والفنون واشتغل على كتابة التفاسير الدينية وضع أول كتاب باللغة العبرية،توفى عام1164م.(عبد المنعم حنفي، **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1980م، ص ص 33،34).

[2] كامل محمد محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص ص152–153.

*__الفريسيين__: كلمة آرامية من فرس أي صار ذا رأي وعلم بالأمور وهو فارس، أي عالم بالأمر وهم فوارس وقيل من فرس بمعنى انفصل واعتزل وهم الفوارس بمعنى المعتزلة لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس الجمهور وكانوا يلقبون بلقب جيرم أي الرفاق والزملاء.(عبد المنعم حنفي، **موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود**،(د.ط)، مكتبة مدبولي، القاهرة،1994م، ص120، عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهودية والصهيونية**، المرجع السابق ، ص 321،322).

يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة أما أنا قلت أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعا.

أشار "**سبينوزا**"على أن "**موسى**" قد كتب التوراة عكس ما يقوله من طرف الفريسيين إذ أن "**ابن عزرا**" تنبه لهذا الأمر لكنه خاف أن يفصح عنه بشكل مباشر وبقي متحفظا واكتفى على كتابة عبارات مبهمة، إلا أن "**سبينوزا**" كان أكثر جرأة وناقش هذا الأمر يهدف إظهار الحق، و يقدم فرضية أن هناك مؤلفين آخرين كانوا يرصدون الأحداث المذكورة في الكتاب المقدس وبعدها ضمنوها داخل الكتاب المقدس فيقول :

"يبدوا واضحا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها أشخاص عاشوا بعد موسى بقرون عديدة ويستحيل أن يكون "موسى" قال كذلك لابد يكون قائلها كاتب آخر يردد أقوال موسى وأعماله"[1].

أكد على أن **الأسفار الخمسة** منسوبة لمؤلفين لم يكتبونها لا موسى ولا غيره،وكيف لموسى أن يكتب عن نفسه بصيغة الماضي ويتحدث عن نفسه بعد موته، إذ قدم فرضية أن ابن عزرا هو من ألم بالشريعة يقول: " نستنتج إذن أن سفر التوراة الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة بل كان سفر مختلفا كليا أدخله مؤلف الأسفار الخمسة في سفر المكان الذي ارتآه"[2].

ابن عزرا هو من دون شك ألم بشريعة موسى بل وشرحها إذ أن عدة شروحات أدخلها إلى شريعة موسى وأجرى تغييرات لأنه اعتمد على الشرح لمعاصرين عصره لكي يفهموها كما أن شريعة موسى تروي حياته، يقول **سبينوزا:**" أما من هو هذا المؤرخ فإنني لا أستطيع أحدده بوضوح ومع ذلك فإنني أرتاب في أن يكون ابن عزرا ويقوم افتراضي على أسباب وجيهة إلى حد بعيد ذلك لأن المؤرخ يمتد ونحن نعلم من قبل أنها رؤية وحيدة ...عزرا الذي عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها وكان ملما كل الإلمام بشريعة موسى"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص ص 259– 263.

[2] المصدر نفسه ، ص246.

[3] المصدر نفسه ، ص269.

إن كل هذه الخصائص انتهت سبينوزا إلى أن يقر بأن الأسفار من تأليف ابن عزرا، حيث أنه جمع الروايات الموجودة في الكتب بدون فحص أو ترتيب،بل كان يقوم بعملية نسخ فقط إذ أن سبب هذه الروايات يبقى مجهول حد الساعة.وأخيرا ينتهي "**سبينوزا**" إلى القول بأن أسفار النص المقدس يملؤها الخطأ .

"قد ذكر أن الآية (14) من الإصحاح الثاني من عزرا تحصر المجموع للإسرائيليين في 42360 لكن إذ أقمنا بحصر المجاميع الجزئية وجمعناها وجدنا أن المجموع 29818 وتمتد الأخطاء إلى أسماء العائلات نفسها"[1].

المطلب الثاني: شروط قراءة النص المقدس.

يؤكد **سبينوزا:** " القاعدة العامة لقراءة الكتاب المقدس أن لا يضاف إليه من التعاليم إلا ما يدل البحث التاريخي على أنه علمه بالفعل فإن العلم بالكتاب يجب أن يستمد كله من الكتاب وحده"[2].

أولا– اللغة:

قراءة النص المقدس يستوجب التمكن من اللغة العبرية وقواعدها وضوابطها باعتبار أنها لغة غامضة، إذ اعتبرها الكثير من علماء اللغة أنها صعبة ويتحدد ذلك في جملة من الأسباب التي حددها **سبينوزا** وهي: استبدال الحروف التي ينطق بها نفس العضو(الحلق،الحنجرة،واللسان) والمتشابهات في أفعال الأمر والمضارع.

ثانيا– الجمع والتصنيف:

إذ يعتمد هذا الأخير على أن نجمع الآيات والنصوص يقول **سبينوزا:** "يجب أن نجمع آيات كل سفر ونصنفها إلى موضوعات أساسية عددها محدود حتى نستطيع العثور بسهولة على جميع الآيات المتعلقة بنفس الموضوع، وبعد ذلك نجمع الآيات المتشابهات والمجملة"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص166.

[2] المصدر نفسه ، ص67.

[3] المصدر نفسه ، ص236.

إذ يجمع الآيات ويصنفها إلى ماهو متشابه وغامض، حيث هذا الجمع والتصنيف يجعلنا أمام آيات سهلة وصعبة إذ يقول **سبينوزا:**" أعني بالآية المجملة سهولة أو صعوبة فهم المعنى من السياق لا سهولة وصعوبة فهم المعنى بالقول إن ما يعنينا هنا معاني النصوص لا حقيقتها"[1].

وذلك من خلال البحث عن استدلالات الكتاب المقدس القائمة على المعرفة الفطرية إذ يجب أن نعثر على المعنى و يوضح "**سبينوزا**" ذلك في قوله:

" سأوضح هذه الفروق بمثال لكي تزداد معرفتنا بها بسهولة إن العبارات التي أتى بها موسى مثل: الله نار أو الله غيور من أوضح العبارات ما دمنا نقتصر على النظر إلى معاني الكلمة وحدها، لذلك أضعها بين الآيات الواضحة على الرغم من كون المعنى الحرفي متناقض للنور الفطري"[2].

يعتبر "**سبينوزا**" أن الإنسان يمكنه إدراك كل المعاني الخفية منها والظاهرة التي يحتويها النص المقدس وذلك عن طريق المعرفة العقلية،لأن الحقيقة التي يعبر عنها النص المقدس تجعله مصدر للفكر، وأن غياب للمعنى الحرفي يجعل البعض يعتقد أنه في الكتاب المقدس تصورات علمية إلا أن الدين جاء منافيا للعلم والتصورات العلمية والفلسفية، فيجب إلغاء كل التأويلات المتضاربة حيث أن معنى النص هو المهم في نظره ويجب الوقوف على حقيقته كما هي لا كما يريد القارئ تأويله حسب وجهة نظره والأخذ منه ما يخدمه ومنه دراسة النص المقدس كما هو نص المقدس.

"يدعوا سبينوزا في سبيل القضاء على الفكر الخرافي وتجنب الوقوف في شباك اللاهوتيين إلى إعمال العقل والتحلي بالحس النقدي ولاسيما في قراءة النصوص المقدسة حيث ينبغي تمييز كلام الله الحق مما ألحق به من تحريف على يد عدد الكثير من الماكرين"[3].

إن ما دعى إليه **مشروع سبينوزا** من خلال **نقده وتأويله للكتاب المقدس** ماهو إلا بيان أن العهد القديم والجديد يتناقض كل التناقض مع معطيات القول هذا **الوجه الأول** من المشروع.

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص نفسها.

[2] المصدر نفسه ، ص237.

[3] جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس(الدين،الأخلاق،السياسة)**، المرجع السابق، ص41.

" يجعل سبينوزا من العقل مرادفا للفكر السليم الحر في تعامله مع النصوص المقدسة حيث تكون له وظيفة نقدية وجدلية تتمثل أساسا في محاربة الخرافات والأحكام المسبقة"[1].

أما **الوجه الثاني:** فهو يدعوا إلى تأسيس ديانة فلسفية تأويلية أساسها التأويل الفلسفي والعقلي الصحيح للكتاب المقدس،" وبناء على ما تقدم تتضح أكثر وظيفة العقل في تعامله مع النصوص المقدسة إذ يبحث في مدى انسجام بين الروايات ولا سيما بين التعاليم التي يحملها الكتاب المقدس ومن المؤكد هناك تناقضات ضمن الكتاب وبين روايات تتعلق بنفس الموضوع"[2].

يحلل "**سبينوزا**" التوراة ويخرجها من نطاق الأفكار الواضحة والتصورات الغامضة، كما يرفض وضع الآيات الواضحة مع الأشياء الغامضة ،ثم يفسر الآيات الواضحة تفسير خيالي حسب هوى المفسر كما يستعمل التمييز في براهينه العقلية،

" يضيف سبينوزا إلى أن نسخ التوراة توجد في هوامشها بعض التعليقات وهي في رواية عبارة عن قراءات مختلفة للنص لم يستطيع الخلق أن يرجحوا إحداها، فأثبتت في النسخ كما هي وفي هذا دلالة على أن الخلق لم تعتني بنسخ التوراة حتى لا يتسرب إليها الخطأ بالإضافة إلى وجود بعض النصوص المبتورة"[3].

المطلب الثالث: موقفه من النبوة والوحي والمعجزات.

نجد سبينوزا قد شكك واتجه إلى نقد مسألة الوحي والمعجزات وشكك أيضا في حدوثها ويظهر ذلك جليا في قوله:" لا يحدث شئ يناقض الطبيعة فالطبيعة تحتفظ بنظام أزلي يتغير وسأبين في الوقت نفسه ماذا يعني لفظة معجزة،لا نستطيع أن نعرف بالمعجزات ماهية الله أو وجوده ومن ثم لا نستطيع أن نعرف العناية الإلهية على حين أننا نستطيع أن نعرفها كلها بطريقة أفضل بكثير عن طريق قانون الطبيعة الثابت الذي لا يتغير"[4].

---

[1] جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس(الدين،الأخلاق،السياسة)**، المرجع السابق ،ص41.

[2] المرجع نفسه ، ص44.

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص162.

[4] المصدر نفسه، ص214.

كذلك نفس الأمر بالنسبة إلى الأنبياء إذ يقول " الأنبياء لم يمنحوا عقلا أكمل من عامة العقول، وإنما منحوا مخيلة أقوى فقد كان منهم الأميون،وكان منهم الحكماء مثل سليمان من لم يوهبون النبوة واختلف الوحي عند كل نبي باختلاف مزاجه السيء ومخيلته وآرائه السابقة فإن الله لائم بين وحيه وبين أفهام الأنبياء وآرائهم"[1].

يعتبر الوحي من صنع الخيال فعندما يكون النبي في مزاج جيد توحى له خيالات تحث على السعادة والفضيلة والحب...إلخ، والعكس صحيح عندما يكون النبي في مزاج سيء توحى له خيالات تدفعه إلى الغضب والسخط، كما أنه استعمل معيار الوضوح والتمييز وحث على استعمال العقل في تأمل آيات العهد القديم والجديد بهدف كشف التناقضات الواردة فيه.

يقول **سبينوزا:**" تخيل الأنبياء للأشياء الموحى بها كأنها ماثلة أمامهم كما يحدث لنا عادة في حالة اليقظة عندما نتأثر بالأشياء...كذلك اختلف الوحي عند كل نبي طبقا لمزاجه على النحو الآتي:إذا كان النبي ذا مزاج توحى إليه الحوادث التي تعطي الناس الفرح مثل الإنتصارات والسلام وعلى العكس،إذ كان النبي ذا مزاج حزين توحى إليه الشرور كالحرب والعذاب، وأننا نستطيع أن نؤكد الآن دون تردد أن الأنبياء لم يتلقوا وحي إلهي إلا بالإستعانة بالخيال أو صور حقيقية ومرة خيالية مرة أخرى"[2].

يرى أنه لا يجوز الأخذ بأقوال الأنبياء على أنها معرفة صحيحة لأنها تنطوي على الخيال الذي يتعدى حدود المعرفة اليقينية، وبما أن الأنبياء قد أدركوا الوحي بالإستعانة بالخيال بأن تعاليمهم قد تجاوزت حدود المعقولية في الذهن لأننا بواسطة الكلمات والصور يستطيع أن تكون أفكارنا تزيد تفوقا عن تلك التي نكونها بالمبادئ والمفاهيم العقلية التي تقوم عليه معرفتنا الطبيعية، بمعنى أن الأنبياء يمتلكون خيال واسع ولكل خياله يتماشى مع طبيعة، مزاجه، بيئته، وثقافته فآراءه كانت ترمي إلى أفكار بعيدة لا يفهمها إلا من يدقق النظر فيها يقول:

---

[1] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص65.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص137.

" إن طريقة الأنبياء في عرضهم للعقيدة تختلف عن طريقة الحواريين فالحواريون يستعملون الإستدلال في كل حين، أما الأنبياء فلا يفعلون ذلك لأن الله هو الذي يتحدث بلسانهم"[1].

الحواريون تلاميذ المسيح وأتباع النبي "عيسى عليه السلام" كانوا يؤدون رسالاتهم السماوية بوصفهم معلمين فقط لا أنبياء، فالأنبياء يتحدثون في الدين والأسس التي يقوم عليها الدين، أما الحواريون العكس إن اتفقوا في الدين يختلفون في الأسس التي يقوم عليها هذا الدين. وقد جاء في قوله: "إن الوحي ينزل على من يختاره الله من الأنبياء المصطفين، ويقول **سبينوزا**:

" أنني أستطيع أن أقول كما يقوله الآخرون أن الوحي قد حدث بقدرة الله...إن كل شئ يصدر بفعل من الله"[2].

فالوحي عنده والنبوة شئ واحد، ورفض أن تكون مقتصرة على شعب اليهود الذي يزعمون بأنهم شعب الله المختار إذ يقول:"الوحي لم يكن إلا من الأمور الإنسانية التي لا تتجاوز حدود القدرة البشرية إلا من حيث إخبارها بالمستقبل...ولو كان هناك شئ واضح في الكتاب لكان ذلك دليلا على أن الله قد أعطى من نعمة النبوة هذا النبي أكثر مما أعطاه ذاك"[3].

بمعنى أن الأنبياء لجاؤوا إلى إثارة الخيال في دعوة الناس إلى مبادئهم ومذاهبهم واضطروا إلى تكييف أنفسهم وفقا لرغبات الشعب وطريقة تفكيره لأن:"تأثير الأنبياء والرسل كبير على الناس بالمقارنة مع تأثير الفلاسفة والعلماء، ويعود الأسلوب البياني الساحر الذي امتاز به أصحاب الديانات من الأنبياء والرسل بحكم طبيعة رسالتهم وشدة عواطفهم"[4].

أكد "**سبينوزا**" على أن الكتاب المقدس لا يخاطب العقل ، بل يجذب الخيال ويسيطر عليه لذلك تكثر فيه المعجزات وتكرار مظاهر الله فيقول: في نقده **للخطاب الديني**: "إن الله في خطابه لم يكن له أسلوب يتميز به،بل كان الأسلوب يتوقف على بلاغته وإيجازه وقوته وخشونته وإطنابه

---

[1] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص169.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**،المصدر السابق، ص137.

[3] المصدر نفسه ،ص ص151،150.

[4] ول ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، المرجع السابق، ص204.

وغموضه على ثقافة الأنبياء وقدرتهم"[1].يتبين من خلال ذلك أن موضوعات الوحي تكيفت حسب آراء الأنبياء وحقيقة حدود الفهم الإنساني، لذلك يجب أن نستمد معرفتنا بهذه الأشياء من الطبيعة.

المطلب الرابع : فكرة الله والطبيعة.

مسألة الدين ووجود الله تعد من اهتمامات الفلسفة الحديثة إذ ظهر هذا الموضوع في فلسفة "**سبينوزا**" واهتمت فلسفة الدين عنده بالبحث عن الله، وإثباته بالأدلة والبراهين كون الدين هو ما يميزنا عن باقي الكائنات الأخرى، إذ انطلق من فكرة أن الله والطبيعة واحد وأصل الوجود والجوهر واحد ويعود ذلك الجوهر إلى الله إذ عرفه على أنه:" علة ذاته أي ما تنطوي ماهيته على وجوده وما لا يمكن لطبيعته أن تتصوره إلا موجود وهو حر بالضرورة أزلي يحدد فعله بذاته"[2].

إذ جمع الموجودات إلى أصل واحد وهو الله، إذ يعتبره أنه كائن لا متناهي إذ يقر بفكرة وحدة الجوهر و يخالف ديكارت في فكرة الثنائية القائمة بين العقل والمادة إذ قسم الكون إلى قسمين وهما: **الطبيعة الطابعة*** و**الطبيعة المطبوعة***.

"أخذ سبينوزا فكرة الجوهر من فلسفة أرسطو حيث يعرفه على أنه مالا يستند إلى موضوع ولا يوجد في موضوع"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص150.

[2] يوسف كرم ، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، المرجع السابق ، ص 111.

*__الطبيعة الطابعة Nature naturaus__ : تعني عند سبينوزا الجوهر اللامتناهي هو الله.(جميل صليبا،**المعجم الفلسفي**، ج2، المرجع السابق، ص16)، ويعرفها "**سبينوزا**": هي المبدأ الفعال أعني بالطبيعة التي توحد الأشياء المنفصلة في العالم (ويليام كيلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق،ص115).

*__الطبيعة المطبوعة__:**Nature naturata**هي تعني مجموعة أحوال الجوهر وأغراضه.(جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،ج2،المرجع السابق، ص16).

__أو هي:__ المبدأ المنفعل أعني الأشياء الجزئية كما نعرفها هي منفصلة عن بعضها البعض وليست دائمة.(ويليام كيلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 115).

[3] فريدريك كوبلستون ، **تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز** ، المرجع السابق ، ص298.

يرجع "أرسطو" أصل نشأة الكون والوجود إلى الجوهر وأن الله يشمل على جميع الجواهر الثابتة والأزلية،كذلك امتدت هذه الفكرة مع "**روني ديكارت**" الذي عرف **الجوهر** على أنه :"حين نتصور الجوهر إنما نتصوره موجودا مفتقرا إلا لذاته في وجوده"[1].

يمتلك الجوهر **اللامتناهي** بالضرورة صفات لا متناهية كما هو الحال عند "سبينوزا" الذي أرجع الموجودات إلى أصل واحد، فالله جوهر لا متناهي يتألف من عدد لا نهائي من الصفات التي تعبر هذه الأخيرة عن ماهية اللانهائية والامتداد والفكر هم من صفاته ، أي أن الله دائما يفكر دون انقطاع.

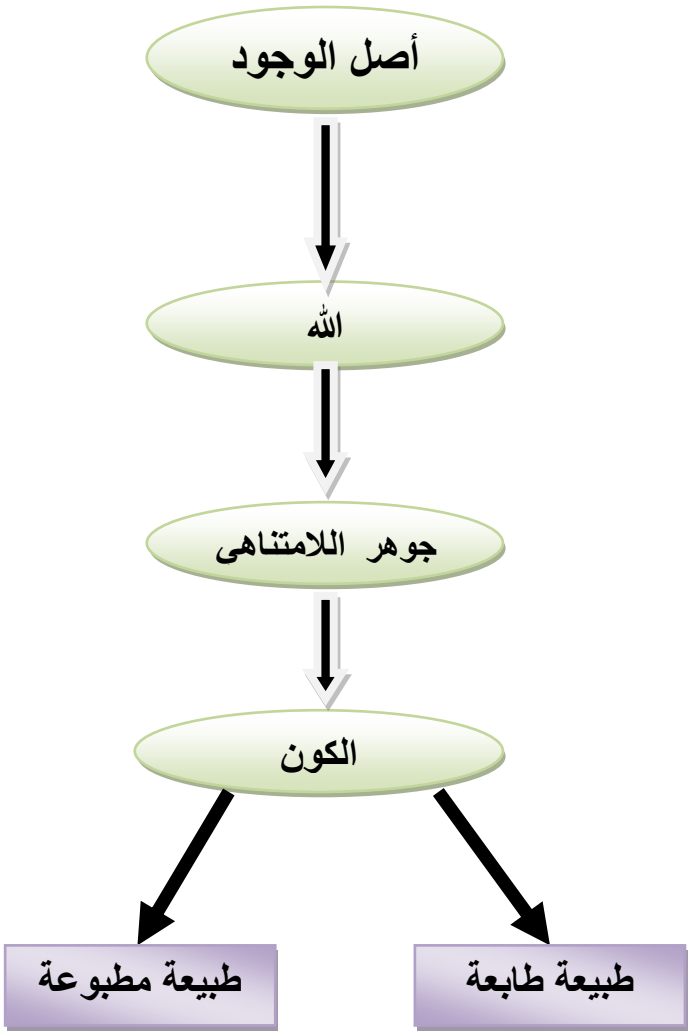

[1] برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، ج3 ، الفلسفة الحديثة ، تر: فتحي الشنيطي ، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية،1977م ، ص123.

" هنا يبدوا سبينوزا وكأنه يخرج على التعاليم الدينية خروجا مكشوفا أذى من حوله وهاج رجال الدين على اختلافهم فإن القول بالإمتداد معناه القول بإمكانية وجسمية قبول القسمة والله منزه عن ذلك"[1].

يصور الله تصوير عقلي بعيد عن جل مظاهر الخيال والتجربة، " وكذلك القول في المعاني أو الأفكار فإنها ترجع إلى صفة الفكر وهذه الصفة حال يحتوي النظام الشامل الثابت للطبيعة،هذا الحال هو **العقل اللامتناهي** أو **فكرة الله** التي هو معلول مباشر للقوة الفكرية الإلهية أي القوة الروحية الباقية هي أبدا في الإمتداد وما يصدق على أحوال الإمتداد يصدق على أحوال الفكر"[2].

كذلك ربط الأجسام ووجودها بوجود الله فعند رأيتنا لجسم ما يكون لدى الله فكرة مناظرة تماما لذلك الجسم فالعالم كله فكر فلا يوجد شئ إلا وله فالعقل يدرك العالم على أنه كائن واحد يحكمه قانون الأزل في كل مكان، ومنه نستطيع رؤية الله " فالإله عند سبينوزا هو الكل الشامل للقوانين الطبيعية،وهذا التصور يخرج عن المألوف لعهده ويمهد للاتجاه العلمي المعاصر ولم يكن مسلما بالنصوص الدينية على ظاهرها، بل كان يفهمها فهما عقليا، وهدف الإيمان الحقيقة هو إرشاد الإنسان إلى طريق الحياة الفاضلة والإنسان عنده حقيقة واحدة"[3].

[1] يوسف كرم، إبراهيم مذكور، **دروس في الفلسفة**، المرجع السابق، ص333.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص119.

[3] كامل محمد محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص57.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تعرضنا إليه من مباحث ومطالب في هذا الفصل توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن حصرها في هذه النقاط:

- فلسفة "سبينوزا" كانت ذات اتجاه نقدي بالدرجة الأولى من خلال تأويله للنص المقدس.
- مشروعه الفلسفي الديني تناول النص المقدس بمنهج عقلي محض.
- مشروعه النقدي التأويلي لخص قضايا الإيمان والدين والتدين وفق أغراض دينية.
- تهدف القراءة التاريخية التأويلية الحداثية للنص المقدس في إعادة توجيه الحضارة الإنسانية وفق مفاهيم ومعطيات عقلية محضة تتماشى وطبيعة العقل.

الفصل الثالث: الخطاب السياسي "السبينوزي".

المبحث الأول: إرهاصات ظهور السياسة.

المبحث الثاني: الفلسفة السياسية في فكر "سبينوزا".

المبحث الثالث:البعد الإيتيقي لعلاقة الدين والدولة.

" يكون الإنسان الذي يهتدي بالعقل أكثر حرية في دولة يعيش فيها في ظل القانون العام، منه في العزلة حيث لا يأتمر إلا بنفسه"

باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**،القضية73،ص300.

تمهيد للفصل:

في القرون الوسطى كانت الكنيسة هي جوهر الحياة السياسية خاصة وشؤون الحياة عامة،إذ كانت هي محرك قوانين البلاد بل امتدت حتى في علاقة اليهود مع الله ، فظهر مشروع"**سبينوزا**" السياسي الذي يعتبر ذو أهمية بالغة اليوم لأنه يربط بين قبول **النظام السياسي** الحديث **والتصور السكولائي** التقليدي والخرافي لوظيفة الفلسفة وممارسة التفلسف على أرض الواقع،فتشكل العلاقة بين الدين و**الدولة*** قضية مهمة في تاريخ **السياسة** الغربية على الرغم من اتفاقه مع دعاة الفصل بين اللاهوت والسياسة،إلا أن هذه الحلول كانت مجموعة من السطحيات التي عقدت المسألة لأن تاريخ أوروبا في العصور الوسطى طبعت بالعلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، فاستطاع القساوسة والباباوات بشكل عام إدراج الكنيسة كمؤسسة سياسية مستبدة وأصبحت تطبق فكرة أن الله يتدخل في شؤون الناس،وأن كل هذا العالم هو مملكة الله فهو يحكم من خلال إرساله للأنبياء،إذ أن الفكر الكنائسي اللاهوتي جعل من القانون المنزل هو المطلق والحقيقي لأن الكنيسة أضفت **الشرعية*** على كل القوانين الوضعية التي تتطابق مع القوانين الكنائسية اللاهوتية الواردة في النص المقدس، واعتبرت الكنيسة أن كل من يتمرد ولا يطبق تلك القوانين هو بمثابة كفر وإلحاد بل وخروج عن الدين، حيث هذا ما حاولنا ضبطه في هذا الفصل وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤل: **ماهو هدف هذا المشروع السياسي وآفاقه عند سبينوزا؟ وكيف استطاع فصل اللاهوت عن السياسة؟**

---

*__الدولةState__:أ-__لغة__:الإستيلاء والغلبة والشئ المتداول.

ب-__اصطلاحا__: جمع من الناس مستقرون في أرض معينة، مستقلون وفق نظام خاص هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموعة من الأفراد يؤلفون أمة.(جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص568).

__تعرف أيضا بأنها__: مجتمع منظم له حكومة مستقلة تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له، ويطلق على جملة الخدمات العامة للأمة.(مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع نفسه ،ص315).

*__الشرعية__: هي صفة الأفعال المطابقة للقانون أو المقيدة بالقانون.(المرجع نفسه ،ص700).

المبحث الأول: إرهاصات ظهور السياسة.

المطلب الأول: فكرة الدولة العلمانية:

أكد فلاسفة القانون أو الفلاسفة السياسيين أن نشأة **الدولة** تقوم على أساس فكرة الحق الطبيعي وهذا الحق هو شامل لكل الموجودات وهذه الفكرة ظهرت مع: " **شيشرون**[*] (43-106ق.م)، إذ قام تصوره للحق الطبيعي على أن المعايير التي تطابق ماهيات وجوهر الأشياء وبالتالي فإنه يصدر عن الحالة الطبيعية الأصلية للإنسان التي هي الحالة التي تجسد جوهره العقلي ويؤكد شيشرون بأنه يوجد قانون طبيعي حقيقي هو العقل السليم الذي يطابق الوجود المنتشر في كل الموجودات"[1].

فكرة الحق الطبيعي هي وحدة عقل الإنسان ف"**سبينوزا**" كانت له نظرة وفكرة معاكسة لما كان سائد إذ يرجع نشأة الدولة إلى فصل الدين عن الدولة لأن الدين كابح لحرية الفكر كما يرى أن هنالك مجموعة آليات وشروط تقوم عليها الدولة إلى جانب فصل كل ماهو لاهوتي عن ماهو سياسي، ومن بين هذه الآليات والشروط فكرة الحق الطبيعي والذي يقصد به:

" تلك القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد، وهي القواعد التي ندرك بها كل موجود وبتحديد وجوده وسلوكه حتميا، فمثلا يحتم على الأسماك أن تعوم في البحر وأن يأكل منها الكبير والصغير وذلك تطبيقا للقانون الطبيعي بمعنى أن الضرورة الطبيعية هي التي أجبرت أن تكون الحياة تسير وفق القوانين التي تفرضها"[2].

يؤكد **سبينوزا** أن النظام الذي يجب أن تسير عليه أية دولة هو النظام الذي لابد من أن يجسد الحرية الفكرية، وليس هناك أفضل نظام إلا النظام **الديمقراطي** إذ يتميز هذا الأخير بكونه يجسد

---

[*] **شيشرون ماركوس تلوس:** (43-106.ق.م) هو خطيب سياسي وفيلسوف وكاتب روماني وصديق أساتذة أكاديمية ومدرسة الرواقية،حاول تسيير الفلسفة اليونانية في صور أدبية لاتينية، كان يحكم تعلمه متشككا في مذهب الشك.(جورج طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق ، ص273).

[1] عبد الله السيد، **مجلة الأحياء الحق الطبيعي ومقاصد الشريعة**، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2016م، ص203.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص367.

العلاقات الترابطية بين **الأفراد** و**السلطة** أي بين الحاكم والمحكوم، مما يجعل المحكوم على دراية تامة بالجانب السياسي لدولته وكذلك يكون الحاكم على دراية بما يكون ويحدث داخل مجتمعه، " فنقطة البدء نحو الطريق الصحيح هي تأسيس دولة قائمة على نظام ليبرالي يقدم للفرد حريته الشخصية في مقابل منح السلطة الحاكمة الحق في إدارة شؤون الدولة،ولذلك كان فصل الدين من الدولة مطلب أساسيا لتحقيق هذه الغاية وفق عقد اجتماعي"[1].

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في أوروبا.

" ماهو جدير بالذكر أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطى عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث"[2]، ولهذا يصعب أن نضع حد فاصل بين حقبة العصر الوسيط و العصر الحديث وذلك لتشابه الرؤى والمسائل السياسية .

" لم تتميز القرون الوسطى التي امتدت من حوالي العام400 بعد الميلاد إلى العام1500، بنظام اجتماعي متجانس ومستقر، وكانت الفروق الجغرافية عظيمة أيضا، ومع ذلك يمكن القول إن نظام الحكم الرئيسي في القرون الوسطى كان نظام إقطاعي بأشكال مختلفة: ونعني بذلك المجتمع الذي تكون فيه العلاقة بين الملك (الإمبراطور) وطبقة النبلاء لها صورة عقد متبادل مشترك"[3]،

فطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة تبادل إذ يمنح الحاكم إقطاعيات ويتعهد المحكوم مقابل ذلك بالدعم العسكري ويدفع الضرائب حيث تمكن هذا النظام من خلق دول ضعيفة وقوية في نفس الوقت. فلقد تم تجاوز العصور الوسطى والدخول إلى العصور الحديثة بشكل تدريجي فكان عصر النهضة بمثابة قفزة ما بين العصرين، فعرفت أوروبا في العصر الوسيط حالة الزهد نتيجة هيمنة سلطة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة،إذ احتكروا زعامة المجتمع مما أدى

---

[1] مالك المكانين، **الدولة العلمانية لدى سبينوزا**، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد26،1926م، ص184.

[2] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص10.

[3] غنار سكيربك، نلز غيجلي، **تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين**، تر: حيدر الحاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2012م، ص247.

إلى انتشار الجهل والظلم والخرافات، فعصر النهضة هو العصر الذي عرف تطورات عريقة وتبادل في أنظمة الدول، " يعتبر عصر النهضة الأوروبية من دلائل الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ويصعب على المؤرخ أن يحدد تاريخا معينا يبدأ به التاريخ الحديث فبعضهم يعتبر سقوط القسطنطينية على يد الأتراك العثمانيين عام 1453م بداية للتاريخ الأوروبي،ويذهب البعض الآخر إلى تحديد قيام العصر الحديث في أوروبا بنشوب الحروب الايطالية"[1].

لقد شهد **عصر النهضة** فترة انتقالية على مختلف المجالات فكان ظهور الدولة والحق الفردي الذي جاء كرد فعل على عوامل انهيار النظام الإقطاعي كنظام إداري، إذ تدهورت حالة الكنيسة التي كانت مسيطرة على شتى مجالات الحياة و " ظهرت الروح الفردية في الحكم والسياسة ونجدها واضحة في الظروف التي نشأت في الدول القومية،ولو أنها لم تنشأ في أوائل العصور الحديثة بل احتاجت إلى ثلاثة قرون حتى تم نضجها في أوروبا"[2].

عصر النهضة هو عصر التطورات في أنظمة الدول، حيث أحدثت هذه الأخيرة تغيرات اتسمت وأخذت صفة الحرية إذ حملت في طياتها حفاظا لكرامة الإنسان وإحياء للتراث وإحداث انقلاب وإحداث انتفاضة على المجتمع الإقطاعي الذي كان سائدا في أوروبا في العصر الوسيط، إذ عرفت "هولندا" انقساما أحدهما متمسك بعلم اللاهوت والآخر يؤمن باستقلالية الكنيسة عن الدولة،" وقد ضم هذا الاتجاه الطبقة البرجوازية الوليدة، وفي هذه الجماعة كان التقاء المذهب الطبيعي مع أفكار "هوبز" عن السياسة العلمية أما الحق الطبيعي فقد شكل لب وصميم الاهتمام في نقطتين هما التسامح أولا كشرط للسلام المدني والديني وثانيا أهمية تنظيم المدن قبل الكنائس"[3].

---

[1] عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر**، (د.ط)، دار الفكر الغربي، مصر،1417هـ-1998م، ص11.

[2] المرجع نفسه ، ص15.

[3] منذر شباني، **اسبينوزا واللاهوت**، المرجع السابق، ص18.

إن الاتجاه الأول أكد على فكرة الإخضاع التام لسلطة اللاهوت وينادي بفكرة التسامح وجعلوا من فكرة الحق الطبيعي الفكرة الجوهرية لهم وجعلوها أساس الملكية،أما الاتجاه المعاكس لفكرتهم هو القائل بضرورة الفصل بين اللاهوت والدولة.

"لقد كان الاتجاه الثاني المناهض للتحذيريين يؤمن بكنيسة مستقلة عن الدولة وبطاعة المسيحي والهدف المنشود بالنسبة لهم هو إحقاف المجتمع الذي لا تستطيع الدولة أن تحققه و بدأوا أنهم مثلوا الاتجاه الأصولي في هولندا بالرغم من تأثرهم بأفكارهم بالإصلاح"[1].

المطلب الثالث: الأوضاع السياسية لدولة العبرانيين.

" لقد بدأ انتشار اليهود في جميع أنحاء العالم قبل عدة قرون من زمن سقوط القدس في يد الرومان، فقد سافروا إلى الخارج عن طريق صيد وموانئ أخرى وانتشروا في كل بقعة في منطقة البحر المتوسط في أثينا والإسكندرية و قرطاجة وإلى روما ومرسيليا واسبانيا وبعد تدمير المعبد تحولت هجرتهم إلى نطاق واسع"[2].

فبعد الازدهار السياسي عاش اليهود أرقى مظاهر الترف في القرنين 12و13م ثم بعد ذلك انحلت اسبانيا وازدهرت هولندا وبنى اليهود أول كنيسة لهم في أمستردام ثم بعد ذلك تفرقوا وتاهوا في الأرض نتيجة أحداث سياسية ودينية، " فعندما خرجوا من مصر بقيادة موسى وجدوا أنفسهم في حالة طبيعية بلا أي تشريع أو قانون أو سلطة بعدما كانوا خاضعين للسلطة الفرعونية في مصر ومنذ ذلك الحين قرروا تفويض حقهم في الحكم والاستغناء عن حالتهم الطبيعية لصالح سلطة أعلى فكانت شريعة موسى هي البديل"[3].

منذ ذلك الوقت أصبحت سلطتهم الحاكمة هي الله وأصبحت دولتهم تسمى **مملكة الله** وأصبح الله يسمى **ملك العبرانيين** وكل عدو للدولة هو عدو الله،وأصبح تشريع وقانون هذه الدولة هو **الأوامر الإلهية** فأصبح القانون الديني هو طاعة أوامر الله وشريعته. بمعنى عقائد الدين كانت بمثابة

---

[1] منذر شباني، **اسبينوزا واللاهوت**، المرجع السابق ، ص20.

[2] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق ، ص73.

[3] مالك المكانين، **الدولة العلمانية لدى سبينوزا**، المرجع السابق، ص180.

قوانين وأوامر دينية وليست تعاليم دينية إذ أصبحت التقوى هي العدالة والعصيان والفسق جرما ومن ترك دينه لا يعود مواطنا فكان النظام السائد هو النظام **الثيوقراطي***.

فكل هذه الأحداث جعلت لسبينوزا مرجعية نقدية للسلطة اللاهوتية ونظام الحكم اليهودي يقول: "مع تطور الأحداث وتأسيس جيش كان يسمى جيش الله،كما تم تسمية الله نفسه برب الجنود إله الجيوش قام العبرانيون بشن الحروب والاستيلاء على الأرض وتقسيم جميع المكاسب بالتساوي عليهم"[1].

لم تعد دولة العبرانيين واحدة بل اتسعت رقعتهم الجغرافية وانقسموا إلى قبيلات وكل قبيلة لها نائب من اختيار موسى يقوم بتنظيم شؤونها يقول سبينوزا : "كانوا يفضلون الموت على أية سيطرة أجنبية عليهم فالواقع أنهم بعد أن فوضوا حقهم إلى الله اعتقدوا أن مملكتهم مملكة الله،وأنهم وحدهم أبناء الله وأن الشعوب الأخرى أعداء الله ولهذا السبب كانوا يكنون لهذه الشعوب كراهية شديدة"[2]. لذلك كانوا يشعرون برهبة في الخضوع والاستسلام لسلطة الآخر أو الغير، كانوا معتمدين على فكرة العهد بالولاء حيث لم يكن هناك أبغض من خيانتهم لوطنهم أي مملكة الله المعبودة ففكرة الإقامة على أرض أجنبية عليهم كانت تبدوا لهم كخيانة للوطن،والسبب وراء هذا عدم السماح لهم بممارسة حقوقهم وشعائرهم الدينية التي تختلف كل الاختلاف عن الشعائر الأخرى،إذ كانوا يرون أن أرض وطنهم هي أرض مقدسة والأراضي الأخرى مدنسة ولا قداسة فيها،يقول **سبينوزا:**" الواقع أن شعائر الدين العبري لم تكن تختلف عن شعائر باقي الأديان فحسب،بحيث يشعر المؤمنون أنهم مختلفون كل الاختلاف عن غيرهم،بل كانت مناقضة لها أشد التناقض" [3].

---

*__الثيواقراطي:Theocray__ هي لفظة يونانية مركبة من **ثيوس** تعني الله، **كراتوس**: القوة والسلطة ويطبق على كل نظام سياسي مبني على سلطان إلهي تمثله السلطة الروحية وهو يرفض عدم التمييز بين هذه السلطة والسلطة الزمنية.(جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص329).

–وهو نظام من الحكم ترجع السلطة فيه إلى رجال الدين.(إبراهيم مدكور،**المعجم الفلسفي**، المرجع السابق،ص57).

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسية**، المصدر السابق، ص393.

[2] المصدر نفسه ، ص401.

[3] المصدر نفسه ، ص نفسها.

وأكمل سبينوزا مناقشته لأوضاع دولة العبرانيين إذ انهارت وأرجع السبب إلى الدين لأنهم ابتعدوا عن شريعتهم الأصلية وحرفوا دينهم وبالتالي استحقوا عقاب الله، ويرى أن " قيام الدولة العبرانية يعود إلى أسباب اجتماعية ودينية على حد السواء،إلا أن سبب انهيار دولتهم عائد لسبب واحد يلخصه سبينوزا في الدين حيث يرى أن الدولة التي تقوم على أساس ديني لابد لها أن تنهار في آخر الأمر"[1].

فكل نظام مستبد يسلب الفرد حريته الفكرية والفلسفية،ويكون موضع انحلال في أي وقت لأنه يستمد قوته من منبع غيبي يدفعه إلى إقصاء دور الاختلاف والحوار مع الآخر، و يشير سبينوزا إلى الأسباب الحقيقية وراء سقوط دولة العبرانيين هي الإهمال والترف الذي كان سائدا في دولتهم وظهور الفتن الدينية الداخلية حول مصدر الحكم بعد موت موسى، واعتماد الأنبياء على سلطة الإله والانتقال من السلطة الزمنية إلى السلطة الروحية، إذ وصف سبينوزا **الحياة السياسية** للعبرانيين عندما خرجوا من مصر حيث لم يلتزموا بقانون تلك الدولة ووضعوا قوانين من تلقاء أنفسهم واحتلوا الأراضي، يقول:

"التنظيم السياسي للعبرانيين فعند خروجهم من مصر لم يكونوا ملتزمين بقانون أية دولة لذلك كان في إمكانهم وضع قوانين جديدة كما يريدون، أي وضع تشريع جديد وتأسيس دولتهم في المكان الذي اختاروه واحتلال ما يشاؤون من الأراضي وممارسة السلطة بطريقة جماعية فقد كان طابع الجهل يغلب على الجميع"[2].

فبعزلتهم هذه تبنوا نظام ثيوقراطي وهذا النظام لا يصلح في عصرنا لأنه محدود الغايات يقول **سبينوزا:** "لا يلائم النظام الثيوقراطي إلا شعبا معزولا يريد العيش دون علاقات مع الخارج مغلقا على نفسه داخل حدوده ومنفصل تماما عن باقي العالم"[3].

---

[1] مالك المكانين، **الدولة العلمانية لدى سبينوزا**، المرجع السابق، ص182.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسية**، المصدر السابق ،ص204.

[3] المصدر نفسه ، ص411.

ويصف الحالة السياسية لبلاد العبرانيين فالبرغم من الإختلاف الذي كان حاصل بينهم حول السلطة كان من الضروري أن تبقى بيد واحد منهم إذ مورست عليهم بطريقة تعسفية، واستمر موسى على هذا المنوال في الحكم بطريقة ديكتاتورية ويظهر ذلك في[الخروج*14الآية الأخيرة 9:19] والخروج الآية31:14]*فالنتيجة التي استخلصها سبينوزا من الفكرة الدينية والسياسية وكانت بمثابة مرجعيته الفلسفية لنقد السلطة اليهودية وتاريخ العبرانيين الديني والسياسي على حد السواء ونظامهم الثيوقراطي لا يمكن له أن يكون نظام حداثي لأنه لا ينطوي على أية صفة للعدالة والحرية، أو لفصل الدين عن الدولة أو لأية ملامح التفكير الفلسفي والعقلانية.

المبحث الثاني: الفلسفة السياسية في فكر" سبينوزا".

المطلب الأول: أهمية الدولة.

تستمد نظرية "سبينوزا" السياسية من فلسفته العامة، إذ أنه يرى من الضروري أن نحلل وندرس المشكلات السياسية دراسة علمية محضة بعيدة كل البعد عن النص الديني بهدف تكوين وإنشاء مجتمع يقوم على مبادئ وأسس صحيحة،فجاء بفلسفة مناهضة للتعصب الفكري،أو الديني وحتى السياسي،

"إن سبينوزا هو مؤسس حداثتنا السياسية قرن قبل فولتير وليبنيتز وكانط وبضعة عقود قبل لوك الذي نشر رسالته في التسامح عام(1689م)، يكون سبينوزا هو أول من نظر للفصل بين السلطات السياسية والدينية وأول مفكر حديث لديمقراطيتنا الليبرالية"[1].

*[**الخروج9:19**]: قال الرب لموسى ها أنا ذا آت إليك في ظلمة الفحام لكي يسمع الشعب مخاطبتي لك ويؤمنوا بك أيضا إلى الدهر فأنبأ موسى إلى الرب كلام الشعب.(باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسية**، المصدر نفسه ، ص204).

*[**الخروج31:14**]: وشاهد إسرائيل القوة العظيمة التي صنفها الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وآمنوا به، وبموسى عبده.(المصدر نفسه ، ص204).

[1] فريدريك لونوار، **المعجزة السبينوزية، فلسفة لإنارة حياتنا**، تر: محمد عادل مطيمط،(د.ط) ، دار التنوير للنشر والتوزيع، (د. ب) 2020م، ص120 .

مع "**سبينوزا**" انتشرت فكرة الديمقراطية وحرية التعبير التي كانت غائبة في العصر الوسيط بحكم الكنيسة كانت تلجم الأفواه عن قول الحق و دافع عنها، فنلمس وجه آخر من فلسفته وهي العلاقة بين **الفلسفة والسياسة.**

فالديمقراطية* تعتبر موضوع من مواضيع الفلسفة السياسية،لأنها تنظم آراء الأفراد رافضة الدغمائية للرأي الواحد،داعمة التفكير الحر وحرية إبداء الرأي، فمن مهام الفيلسوف هو دعم الديمقراطية والحفاظ عليها والدعوة لها وعليه فإن الفلسفة هي تجلي واضح لمهام الديمقراطية.

" إن سبينوزا هو الفيلسوف الأول الذي كتب دفاعا منظما عن الديمقراطية ويبدوا ذلك في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة،ويظهر الدفاع بوصفه نتيجة ضرورية لموقفه الميتافيزيقي للتفكير السياسي عنده متضمن في كتابه الأخلاق،الذي هو العمل الأساسي له وهو دراسة البناء الأساسي للحقيقة الواقعية إذ ظهر رفضه للفلسفة السياسية التقليدية"[1].

يرى "**سبينوزا**" أن الإنسان لا يكتمل إلا عندما يتبنى من طرف الدولة والتي تكون مبنية على نظام حر بعيدة عن الديكتاتورية، والتي تشجع الحرية الفكرية وإبداء الرأي والإدارة السياسة،" ينادي أيضا بالديمقراطية ويعتبرها من أكثر تنظيمات المجتمع عقلانية وأفضل الحكومات التي تهتم بالمجتمع التجاري الذي يتوقف نشاطه على قدر كبير من الحرية والأمان وهولندا بالنسبة إلى "سبينوزا" هي المثال الذي يجب أن يحتذى به"[2].

إذ تشترك رؤيته السياسة مع "توماس هوبز" لأن كتاباته تدعوا إلى التحرر السياسي من اللاهوت، يقول " كلما اتسعت مشاركة الشعب في الحكم قوى التحاب والإتحاد ولا يكتسب الدين

---

*__الديمقراطية Democratic__ : كلمة مؤلفة: من لفظتين يونانيتين __ديموس__: وهي الشعب.

__كراتوس__: أي السلطة والسيادة، فالديمقراطية تعني سلطة الشعب وسيادته، وهي نظام سياسي يكون الشعب فيه هو صاحب السلطة.(جلال الدين السعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، المرجع السابق، ص83).

[1] مصطفى كريم فاضل الخفاجي، **فلسفة الدين والسياسة عند سبينوزا**، المرجع السابق، ص319.

[2] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، المرجع السابق، ص ص78،79.

قوته إلا بإرادة السلطة من حيث أن ليس للعقل من حق في حال الطبيعة أكثر مما للشهوة أو القوة وأن مظاهر العبادة يجب أن تعين تبعا لأمن الدولة قائدها والولاء للدولة أرفع صور التقوى"[1].

فقوة الدولة وصلاحها مرهون باتحاد شعبها والتي تعتمد على الرأي العام ، والدين هو الآخر يكتسب قوته من السلطة السياسية ذات النظام الديمقراطي،

" تنشأ الدولة باعتبارها منظمة ذات سيادة ولولا وجود شخص يمتلك الوسائل الفعالة لحمل الأفراد على الالتزام بالعقد وتحقيق إرادته بالرغم مما يحده من معارضة، إلا وحلت بالمجتمع الفوضى واختل فيه الأمن حيث تفقد السلطة قوتها في السيطرة على المعارضة وتنفيذ إرادتها لا تعد سلطة ذات سيادة وتصبح العقود والدساتير عقيمة"[2].

ما نلاحظ أن كتابات "**سبينوز**ا" وردة فعله السياسية لم تكن وليدة الصدفة أو من العدم،بل جاءت كرد فعل على الأوضاع التي كانت سائدة آن ذاك إذ أنها كانت خاضعة للإستعمار من طرف سلطة الكنيسة كما أنه من الملاحظ أن طبيعة الحكم كان ديكتاتوري إستبدادي فاقد للحرية والأمان، وهذا ما جعله يدعوا إلى إنشاء دولة تقوم على النظام الديمقراطي الحر ذات سيادة ودستور كعقد بينها وبين المواطنين، " لذلك سبينوزا كان نصيرا للديمقراطية ومدافعا عنها و التي يجب أن يسمح فيها للفلسفة بحرية الكلام ولما كانت الديمقراطية تجسد التعليم الفلسفي الصحيح فإنها تنظم آراء الناس عن طريق المؤسسات الدينية والسياسية لكنها لا تصر على وحدة الرأي"[3].

لأن المجتمعات الأولى كانت تعيش حالة همجية وكان فيها البقاء الأقوى، و كانت لا تفرق بين الصواب وبين الخطأ، وبين العدل والظلم، وليس بينهما أي إلتزام سواء أخلاقي أو دستوري، وكان يحكمها قانون الغابة، القوي يأكل الضعيف حيث يرى "سبينوزا" أنه من الأخلاقي أن تكون هناك شحنة من التآزر والألفة بين المجتمع، ويبدأ هذا المبدأ الأخلاقي من الأمة ثم الإنسانية جمعاء كما أنه أكد على ضرورة **المساواة** بين أفراد طبقات المجتمع، وهذا ما أكد عليه **زكي نجيب**

---

[1] محمد كامل محمد عويضة، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص 68.

[2] كريم متى، **الفلسفة الحديثة،عرض نقدي**، ط2، دار أويا، ليبيا، 2000م، ص ص126،125.

[3] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة**، المرجع السابق، ص668.

محمود في قوله :" الناس كانوا قبل نشأة المجتمع يعيشون فوضى لا ينظمهم قانون ولا يسودهم نظام وكانت القوة عندهم هي الحق فمن استطاع أن يظفر بشئ فهو حق له ، وأن ليس الإنسان خيرا بطبيعته ولكن الاجتماع هو الذي يؤيد الالتزام والتعاطف فلا يسع الإنسان إلا أن يعطف على ذويه ثم على أمته ثم على الإنسانية جمعاء"[1].

إضافة إلى هذا المبدأ الأخلاقي بين أفراد المجتمع قد وضع قانونا لأن العواطف حسب"**سبينوزا**" عمياء في بعض الأحيان فلو كان كل المجتمع يمتلك عقل لما كنا في حاجة إلى القانون يقول"**سبينوزا**" في كتابه علم الأخلاق: "لا يتصرف الإنسان الحر بمكر أبدأ وإنما يكون تصرفه بحسن نية والأحرار فقط يكونون في غاية عرفان جميل فيما بينهم ويكون الإنسان الذي يهتدي بالعقل أكثر حرية في دولة يعيش فيها في ظل القانون العام منه إلى العزلة حيث لا يأتمر إلا بنفسه"[2].

الأحرار حسب "**سبينوزا**" هم فقط من تحكمهم صداقة إذ يسعون إلى كسب الإحسان فيما بينهم وقد ربط بين مفهوم الحرية ومفهوم الخير فالإنسان الحر هو الإنسان الخير فيقول:" الإنسان الحر لا يفكر في شئ أقل من الموت وتتمثل حكمته في تأمل الحياة لا في تأمل الموت"[3]. **الحرية** هي محرك الإنسان فالإنسان المستقل والحر،لا يشتغل بفكره إلا بتأمل فلسفته اليومية وكيف يعيش ولا يقود عقله وتفكيره إلى الموت وفكرة الخوف من الموت.

يقول **سبينوزا:**" يجب أن يقاد الناس بدرجة يعتقدون أنهم ليسوا مقادين وإنما يعيشون عن طريق عقلهم الخاص وعن طريق رأيهم الحر الخاص"[4]. فغاية **الدولة** هي تحرير الفرد من الخوف من الدين والإحساس بالأمان من رجال السلطة الروحية، لأن هدفها هو الحرية ونظامها هو الديمقراطية، لأن:" الديمقراطية هي خير أنواع الحكومة والسياسة هي أساس المجتمع نظام خفي

---

[1] زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص170–172.

[2] باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، المصدر السابق، ص ص300،299.

[3] باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، المصدر السابق ، ص295.

[4]Spinoza Benedict ,**Theologice ,polical Treatise** ,Worksof Benedict Spinoza ,Transonintro diction by RHM ,Elwes ,New York ,1951 ,p7.

كان من وراء نزعات الأفراد المتضاربة في الظاهر هذا الأساس هو الدولة"[1].تكون الدولة أفضل إذا ما تم الاتفاق والطاعة من طرف المواطنين لا من خوفهم منها بل من احترامهم لها، إذ أن "**سبينوزا**" يعني بالعقل هو التفكير في مصلحة الفرد وما يخدمه داخل دولته، ولا يكون هناك انتهاك للقوانين واستغلال للحقوق فبالتالي فإن دولة "سبينوزا" تحول الانفعال إلى خادم العقل عن طريق الفهم العقلي للطبيعة الإنسانية.

" القوانين الجيدة تكون في مصلحة كل مواطن ولذلك فإنها تكون معقولة ولأنها كذلك فإن المواطنين لا يخشونها ولا يخافون منها، ولذلك فإن الأفضل أن تحصل على الطاعة ليس عند طريق الخوف وإنما عن طريق العقل"[2].

ارتكزت فلسفته على العقل إذ كان يدعوا إلى تحريره، فإذ أعمل الإنسان عقله في أن يقيم دولة فهو يحرره ومنه يحرر **الدولة** والمجتمع فحاول "سبينوزا" من خلال نسقه السياسي التنظير لمجتمع **سياسي ليبرالي** تسعى من خلاله الدولة إلى تحقيق غاياتها وحرية الرأي ضرورية للسلام الداخلي في **الدولة** لكون حرية الفكر هي الأساس والدعامة للرأي العام داخل تلك **الدولة**، والرأي العام هو تعبير ورصد عما يحدث داخل الدولة ومنه القضاء على حرية التعبير هو القضاء عن **الدولة**، وهذا ما أكد عليه في كتابه "**رسالة في اللاهوت والسياسة**" في قوله:" إن الغاية من قيام الدولة هي الحرية" [3].

والدولة التي نادى بها "**سبينوزا**" هي الدولة التي تستمد قوانينها من طبيعة الإنسان، **فالتربية السياسة** الفعالة والناجحة هي التعلم على أن يكون الفرد مواطنا وجزء من دولته لكون المواطنة هي أن يمتلك الأفراد الحق الطبيعي الكامل، كالحق في الحرية،الكرامة،الحياة ومنه طاعة القوانين التي تمنحهم الحقوق الطبيعية، فكتابه "**الرسالة السياسية**" هو معالجة الفلسفة السياسية عموما والدولة والحكومات خصوصا، إذ كان ينص ويؤكد على القانون الوضعي للسلطة الزمنية وتجاوز

[1] زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص ص173–176.

[2] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق، ص676.

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص437.

القوانين اللاهوتية، وإتباع ماهو وارد في الدستور وتطبيقه." الاهتمام الرئيسي لكتاب" **الرسالة السياسية**" ليس في حقيقة الأمر الدولة الأفضل فحسب وإنما هو بالأحرى مسألة أنواع الحكومات الثلاثة الرئيسية وهي الملكية والأرستقراطية والديمقراطية ومن هنا كان تأكيده الأكبر على القوانين الوضعية والدساتير"[1].

يتولد المجتمع بموجب اتفاق عام بين أفراده وذلك عن طريق تنازلهم عن سلطتهم وانتخابهم لفرد منهم لإدارة تلك **السلطة** وبالتالي تكوين دولة ديمقراطية شعبية خادمة لأفراده.

مخطط يوضح أهمية الحياة السياسية:

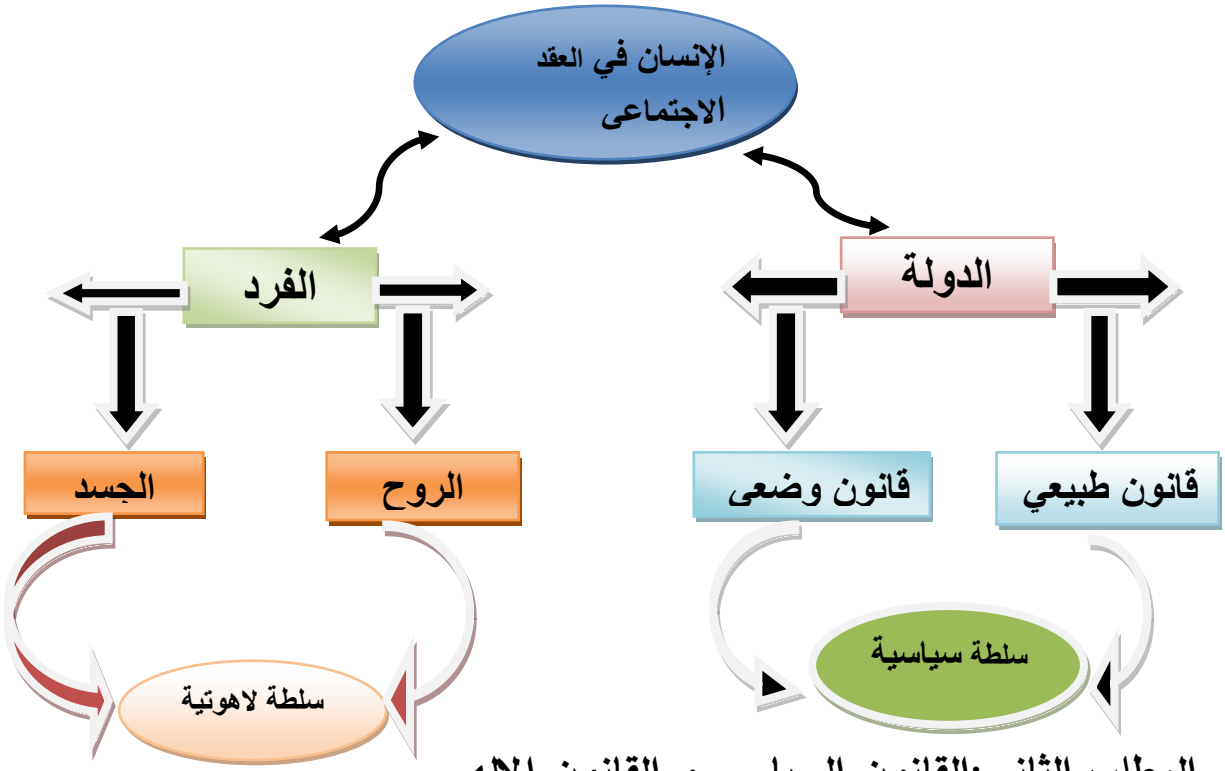

المطلب الثاني:القانون السياسي و القانون الإلهي.

إذ يفرق "**سبينوزا**" بين **القانون الوضعي والإلهي:**

القانون الوضعي **للسلطة الزمنية** هو العماد الأساسي للحياة إذ يهدف إلى الحفاظ على أمن واستقرار الدولة وسلامة حياة أفرادها، أما القانون الإلهي مهمته نشر تعاليم الخير والفضيلة وحب الله لبلوغ غاية الخير الأسمى، يقول **سبينوزا**:" القانون الإنساني قاعدة للحياة مهمتها الوحيدة هي

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **الفلسفة السياسية**، المرجع السابق ، ص272.

المحافظة على سلامة الحياة والدولة أما القانون الإلهي فأعني به قاعدة لا تهدف إلا للخير الأقصى إلى المعرفة الحقة وحب الله...،القانون لا يتطلب أفعال يتعدى تبريرها حدود الفهم الإنساني وكل ما تحتاج إليه هو ما يمكنه أن يعرفنا إياه بوضوح تام بوصفه خيرا أي بوصفه وسيلة نحصل بها على سعادتنا"[1].

القانون واضح بذاته ولا يحتاج إلى تأويلات وتفسيرات تتجاوز حدود عقل الإنسان،إذ جعل منه وسيلة لتحقيق غاية السعادة على أساس أن هذه الأخيرة لا تتحقق إلا بالأوامر والأنظمة والقوانين، إذ قدم "سبينوزا" نقد للقانون الإلهي خاصة في قصة "آدم" الذي أكل تفاحة مع أن الله حرم عليه الاقتراب من تلك الشجرة إلا أنه اقترب منها يقول "**سبينوزا**":

" إذ كان الله قد قال لآدم مثلا: لا أريد أن تأكل من شجرة، علم الخير والشر فإن من التناقض يكون آدم قد استطاع أن يأكل منها ومع ذلك فما دام الكتاب يذكر أن الله قد حرمها على آدم فيجب أن نقول أن الله قد كشف لآدم الشر الذي ينتج بالضرورة عن أكله، ولكنه لم يكشف له عن حتمية هذا الشر ولم يدرك أدم هذا الوحي كحقيقة، بل كقانون كقاعدة تنص نفعا أو ضررا وهكذا أصبح الوحي قانون لآدم فقط"[2].

حسب "**سبينوزا**" اتخذ الله صفة المشرع والحاكم وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى أسفار موسى والوصايا العشر إذ أن الأنبياء اتخذوا القوانين المحرفة التي صاغوها باسم الله كوسيلة لتحقيق غاية إذ أن هذه الأوامر أو القوانين لم يدركوها إدراكا كاملا، وهذا ما حصل مع الديانة اليهودية لأن مع المسيح تم تشريع قوانين باسم الله أيضا ولكنها حقيقية، إذ يكمل ويقول: " أصبحت الوصايا العشر قانونا لهم وحدهم نظرا إلى أنهم لم يعرفوا وجود الله كحقيقة أزلية فقد كان إلزاما عليهم أن يدركوه كقانون...وما نقوله عن آدم والإسرائيليين ينطبق أيضا على جميع الأنبياء الذين شرعوا القوانين باسم الله، فهم لم يدركوا أوامر كما ندرك الحقائق الأبدية"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص ص185-188.

[2] المصدر نفسه، ص190.

[3] المصدر نفسه ، ص190.

يعتبر أن السلطات السياسية ليست سوى تعبيرات لطبيعية النظام الاجتماعي إذ يرفض النظام الثيوقراطي ويشجع على الديمقراطية، يقول **سبينوزا:** " إن الحكم الثيوقراطي نوع الحكم السياسي لدى العبرانيين،إنما هو يجعل من مجتمعهم مجتمعا مغلقا ومتقوقعا على نفسه،وفعلا كان الشعب اليهودي يعيش منعزلا عن الشعوب الأخرى مكتفيا بمؤسساته وعقائده وأخلاقياته،إذ كانت حميتهم الوطنية تظهر في نزعتهم القومية، وتشبتهم بدولتهم بما هي مملكة الله في الأرض"[1].

نزه "**سبينوزا**" المسيح من تحريفه للقوانين باسم الله من منطلق أنه لم يكن نبي بل كان متحدث عما يقوله الله، إذ أدرك الأشياء كما هي حقيقة وعرفها معرفة كاملة وصحيحة يقول:" أنني أعود فأؤكد أن هذا لا ينبغي أن يقال إلا عن الأنبياء الذين شرعوا قوانين باسم الله، لا عن المسيح، فمع المسيح –فيما يبدوا– قد شرع قوانين باسم الله، إلا أنه على العكس من ذلك أدرك الأشياء بوصفها حقيقة وعرفها معرفة كافية،ذلك لأن المسيح لم يكن نبي بل كان ناطقا بلسان الله"[2].

كذلك أكد على أن القوانين ليست مشتركة وعامة لجميع الناس، بل هي خاصة باليهود والعبرانيين فحسب وضعوها تتماشى ومبتغاهم تتعلق بتحقيق منافعهم الخاصة بدولتهم فقط، يقول **سبينوزا:**" الأسفار الخمسة لا توجد فيها بوصفها تعاليم خلقية مشتركة بين الناس بل يوصفها أوامر تكيفت بوجه خاص طبقا لفهم أمة العبرانيين وحدها وطبقا لمزاجها الخاص وتتعلق بمنفعة دولتهم فحسب"[3].

سبينوزا لا يلغي الدين بل يريد عدم خضوع الدولة إلى سلطة الكنيسة من منطلق أنه عندما تخول الكنيسة القوانين، فإنها تفسدهم أخلاقيا ويستغلونها لمصالحهم الشخصية إذ لابد أن تكون الديمقراطية موازنة لحاجات المجتمع ومحققة لرغبات أفراده،" ويستنبط سبينوزا نظريات سياسية معينة ويناقش العلاقة بين السياسيين والكهنة داخل الدولة اليهودية لأن العهد المطلق مع الله لم يعد صالحا ويذهب إلى أن الدستور اليهودي عديم الفائدة بالنسبة إلى الدول التي ترغب في

[1] جلال الدين السعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس**، المرجع السابق، ص171.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص191.

[3] المصدر نفسه ، ص198.

علاقات خارجية"[1].يرى أنه من الضروري فصل العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الروحية(اللاهوتية)، على أساس أن **الكتاب المقدس** لم يعد صالحا لاستنباط الأحكام والقوانين نظرا لما يحمله من تناقضات وأخطاء بالجملة،والدستور اليهودي لا يخدم الدولة التي تريد إقامة علاقات دبلوماسية سياسية مع الدول الخارجية نظرا لما ينطوي عليه هو الآخر من مواد متناقضة، وحاول إحداث صياغة جديدة كليا للنظريات السياسية التي يجب أن تقوم عليها الدولة وهي كالآتي:"1- لا بد من أن يكون هناك فصل بين الوظيفة **الدينية والسياسية**.

2- يجب ألا ترجع المسائل النظرية التأملية إلى **القانون الإلهي** لأن الدين يجب أن لا يكمن إلا في الأفعال فقط.

3- لابد أن تكون **السلطة صاحبة السيادة** في أن تقرر ماهو قانوني وماهو ليس كذلك.

4- ينشأ ضرر أكثر من خير في تغير شكل الحكومة"[2].

إن هذه الشروط الأربعة الأساسية التي حددها "سبينوزا" في النظريات السياسة من شأنها أن تحقق النظام الأمثل للحكم من خلال الفصل التام بين **اللاهوت والسياسة** وعدم الخلط بين **مجال الدين والدولة**، يقول **سبينوزا**:"لا يكتسب الدين قوته مثل القانون: إلا من أوامر صاحب السيادة، وليس لله مملكة خاصة بين الناس إلا من حيث أنه يحكم عن طريق حكام دنيويين"[3].

ومنه **الدين** يكتسب قوته من المخول السياسي بمعنى نحن بمعزل عن الحكم وأصحاب السيادة هم من لديهم الأحقية الكاملة في الحكم والسيادة، فيؤكد **سبينوزا** أن:"السلطة صاحبة السيادة نفسها ، وهذا التأكيد يطابق دفاعه عن حرية الكلام فيثبت أن كبت التفكير مستحيل فمن الأفضل السماح بالمناقشة في معظم المسائل"[4].

فالدين لا قوة له إلا بإرادة الذين لهم الحق الكامل في الحكم إذ أن حكم الله **وحكم السلطة السياسية** واحد ولا فرق بينهما، ولابد للممارسات الدينية أن تكون تتماشى وتتفق وسلامة الدولة

---

[1] ليوشتراوس جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق، ص286.

[2] المرجع نفسه ، ص686.

[3]Spinoza Benedict, **Theologice Polical,** ibide,p295.

[4] ليوشتراوس، جوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، المرجع السابق، ص286.

ومصلحتها العامة. ويقدم مثال عن النبي "موسى" حيث أنه لا يعلم اليهود تحريم القتل والسرقة، كما يعلمها المسيح بل أمرهم كما يفعل الحاكم ،إذ أن أوامره ليست بدليل ديني بل بواسطة التهديد، يقول **سبينوزا:**" إن المجتمع لا يكون نافعا للغاية لأنه يحمي الأفراد من الاعتداء فحسب ،بل أيضا يسمح بجمع أكبر قدر ممكن من وسائل الراحة ذلك لأنه لو لم يكن الناس يريدون أن يتعاونوا مع بعضهم البعض فلن تتوفر لديهم المهارة النفسية أو الوقت اللازم لتفسير شؤون حياتهم والمحافظة عليها قدر الإمكان"[1].

ومنه وظيفة المجتمع هي حماية أفراده وهذه الوظيفة هي بمثابة فن من الفنون،بل تجاوز ذلك إلى كيفية تدبير شؤون الحياة والمحافظة عليها، فوصف "**سبينوزا**" حياة الناس بلا دولة حيث شبهها بأنها همجية وحياة بائسة تفتقر إلى أبسط أنواع العيش والحياة إذ تشبه حياة الحيوان التي هدفها حفظ البقاء فحسب و"بين أن المؤسسات السياسية العبرانية الموصوفة في الكتاب المقدس الهدف منها العبرانيون فقط لقد كان أول فيلسوف تجرأ على التحدث على هذا النحو بلا تحفظ في هذه المسائل إذ بين أن الدول السياسية الحديثة ليست ذات مصدر إلهي ولا يمكنها أن تزعم أنها تحكم بسلطة الكتاب المقدس"[2].

المطلب الثالث: الحق الطبيعي والحق السياسي.

يعرفه "**سبينوزا**" في كتابه **رسالة في اللاهوت والسياسة** فيقول:

"أعني بالحق الطبيعي هو التنظيم الطبيعي،مجرد القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد، وهي القواعد التي ندرك بها أن كل موجود يتحدد سلوكه يتحدد وجوده حتما على نوع معين"[3].

يقصد به التنظيم المبني على قواعد حتمية محددة للسلوك البشري والتي تحدد وجوده وماهيته، وهو الجزء الأكبر من حياة الإنسان الحق الطبيعي السبينوزي هو أساس الإنسان الطبيعي لأنه في حالته الطبيعية يسير وفق ما تمليه عليه غرائزه وفطرته، وغايته القصوى هي

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص202.

[2] ويليام كلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص ص121،120.

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص367.

تحقيق مصالحه الخاصة على حساب الآخرين فمثلا حق الدفاع عن النفس هو حق طبيعي، ولا يمكن التنازل عنه ومنه الإنسان مجبر غريزيا وطبيعيا في أن يحافظ على نفسه من ظلم الآخر بكل وسيلة تكفل له ذلك من أجل الأمان والتحرر من الخوف والظلم، يقول **سبينوزا:**

" فإن كل ما يراه الفرد الخاضع للمملكة الطبيعية وحدها نافعة له سواء كان مدفوعا بأي وسيلة سواء بالقوة أو الخداع أو بالصلوات أو بأي وسيلة أيسير منها،وبالتالي يحق له أن يعد من يمنعه من تحقيق غرضه عدوا له"[1].

وهذا ما دفعه إلى الدعوة إلى لإقامة دولة تحميهم من الخطر والخوف، فالدولة لا تتعارض مع الحقوق الطبيعية بل هي إمتداد لها وتعمل على حمايتها، لأن الإنسان في الوضع الطبيعي كان يعيش نوعا من الخوف والقلق نتيجة تصادم مصالح الأفراد، فالقانون المدني أو السياسي امتداد للحق الطبيعي، أي أن المجتمع ابتكر القوانين السياسية يقول **سبينوزا:**"الواقع أننا نرى أولئك الذين يعيشون حياة همجية بلا مدنية يحيون حياة بائسة تقترب من مستوى حياة الحيوانات،ومع ذلك لا يستطيعون الحصول على القليل الذي لديهم إلا إذا تعاونوا بعضهم مع بعض"[2].

ومنه يصبح بذلك القانون هو العقل المنظم للفرد والدولة بشكل كامل.

" يربط سبينوزا تحليله للسلوك السياسي بقانون عام بوصفه القانون الكلي الخامس للطبيعة يشتغل ضمن حقل انتشار الأعمال الإنسانية كمبدأ كشفي **للبراكسيس**"[3].

ففلسفته السياسية تقوم على أن الإنسان في البداية كانت حياته منفردة وليست في نظام جماعي، والحق عنده هو ما يستولي عليه بالقوة إذ يرى أن الإنسان البدائي لم يدرك ويفرق ما هو الخير وماهو الشر أمام الآخر بل كان مسؤولا عن تصرفاته أمام نفسه فقط فبظهور حياة المدينة تم الاتفاق والإجماع على تحديد ماهية الفعل الخير والشرير إذ يتحول من طبيعي إلى

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ص369.

[2] المصدر نفسه ، ص202.

[3] فاطمة حداد الشامخ، **الفلسفة النسقية ونسق الفلسفة السياسية عند سبينوزا** ، تر: جلال الدين السعيد، ط2، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والأبحاث، المملكة المغربية، الرباط ، المغرب ،2017م، ص189.

سياسي،ويتفق مع **هوبز** في فكرة فصل **الدين** عن **الدولة** لكن يختلف في فكرة الحالة الطبيعية ليست ثمة صواب أو خطأ لأن الخطأ يتمثل في عدم الخضوع والطاعة للقانون،" فهو يأخذ بأنه في حالة الطبيعة الإنسانية ليس ثمة صواب أو خطأ لأن الخطأ يتمثل في عدم طاعة القانون وهو يسلم بأن الملك لا يمكن أن يخطأ ويتفق مع هوبز في أن الكنيسة ينبغي أن تخضع للدولة خضوعا تاما ويشهد بالإضطرابات في انجلترا كدليل على الضرر الذي ينجم عن مقاومة السلطة فهو يرى حرية الرأي وأن المسائل الدينية لابد أن تحسم فيها الدولة"[1].إذ رسم معالم **الفلسفة السياسية** مختلفة عن هوبز يقول:

" تسألوني عن الإختلاف بيني وبين هوبز بالنسبة إلى السياسة الإختلاف الأساسي يتمثل في أنني أتمسك دائما بالحق الطبيعي، وإني لا أقول الحاكم في حق على الأفراد داخل الدولة إلا في حدود ما تسمح قوته"[2].

يجب على **السلطة** أن تعترف بحق الشعب في تقرير مصيره وماهو مشروع وماهو مكروه، لأن هذه القضية عندما أسندت من قبل للأنبياء فقد **الدين** مصداقيته مما أثر سلبا على صيرورة **الدولة** إذ من الواجب أن تعطى السلطة لمن يستطيع التنبؤ بما سيحدث في المستقبل، يقول سبينوزا:

" من الضروري الإعتراف للسلطة العليا بالحق في تقرير ماهو شرعي وماهو غير شرعي، وذلك لتحقيق مصلحة الدين والدولة على حد السواء ذلك لأن هذا الحق–حق تقرير الأفعال– عندما منح للأنبياء أدى إلى إلحاق ضرر بالدين والدولة ومن ثم الواجب ألا يعطى من لا يعرفون التنبؤ بالمستقبل أو إجراء المعجزات"[3].

---

[1] برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، المرجع السابق، ص122.

[2]Baruch Spinoza ,Oe**uvres Complétés**, Texte nouvellement ,Traduit Ou revu, présent et annoté par Roland Ciallois, Medleine Francies et Robert Misrali ,Bibliothèque de la pléaide 1er édition ,Paris, France,1995,p1194 .

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص416.

المطلب الرابع: شروط قيام مجتمع الإنساني.

يقدم "**سبينوزا**" مجموعة من الشروط لقيام مجتمع بشري لا يتعارض وطبيعة ذلك الحق الطبيعي إذ هذه الشروط تتجلى في:

" 1- يجب على كل فرد أن يفوض إلى المجتمع كل ما له من قدرة.

2- يتعين على كل فرد أن يطيع السلطة المطلقة إما بمحض اختياره أو خوفا من العقاب الشديد.

3- الحاكم لا يكتسب الحق في أن يأمر بما يشاء إلا بقدر ما يملك السلطة العليا بالفعل"[1]

جعل "**سبينوزا**" الطاعة وسيلة لحفاظ النظام داخل الدولة بالإضافة، إلى أنه جعل من الحاكم بأن يأخذ برأي الرعية أو الجماعة في **الأمور السياسية** ولا يحكم على أمر كما يشاء إلا بواسطة اتفاق جماعي بينه وبين أفراد شعبه لضمان السيادة والنزاهة في الحكم حيث

" اقترح حق الإقتراع العام لكل من الذكور فيما عدا القاصرين والمجرمين واستبعد النساء لأنه رآى أن لهن بحكم طبيعتهن وأعبائهن أول صلاحية من الرجال للتداول والتشاور والحكم، ورآى أنه يمكن تشجيع الموظفين الرسميين على السلوك القويم وانتهاج سياسة سليمة"[2].

يأمر "**سبينوزا**" الحاكم إلى ضرورة تطبيق الأوامر، فرسالته جاءت لتصحيح ومعالجة إشكالية الدين وما يتناوله من مواضيع مثل علاقته بالدولة، وكذلك الحالة السياسية لليهود الذين اعتمدوا على المعجزات،وهذا ماأكده كانط في قوله: " ففي الشؤون العادية لايمكن للمرء بأية حال أن يعول على المعجزات وأن لا يشهرها في وجه أي كان عند استعمال عقله الذي هو أمر لا غنى عنه في كل أحوال الحياة"[3].

الدول الحرة حسب "**سبينوزا**" هي تلك التي تستعمل العقل في استنباط قوانينها لا اللاهوت بمعنى الأفراد يكونون مخيرين لا مجبرين على إتباع القانون، ويعيشون الحرية بمعزل عن سيطرة

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص372.

[2] إبراهيم الزيني، **باروخ سبينوزا** ،المرجع السابق، ص81.

[3] إيمانويل كانط، **الدين في حدود مجرد العقل**، تر: فتحي المسكيني، ط1، جداول للنشر والتوزيع، لبنان 2012م، ص153.

اللاهوت ويمارسون حرية التفكير وينسلخون من العبودية التي شملت حتى الأطفال من منطلق الفكرة التي نادت بها الكنيسة والتي مفادها أن الأطفال ملزمون بالطاعة لأوامر البابا لأنه يهدف إصلاحهم،حيث فرق "**سبينوزا**" بين العبد،الابن والمواطن، يقول:

" العبد هو من يضطر إلى الخضوع لأوامر التي تحقق مصلحة سيده، والإبن هو من ينفذ بناء أوامر والديه أفعالا تحقق مصلحته الخاصة، أما المواطن فهو من ينفذ بناء على أوامر الحاكم أفعالا تحقق المصلحة العامة وبالتالي مصلحته الشخصية"[1].

بمعنى أن العبد هو المجبر على الخضوع والاستسلام لأوامر الكنيسة، ويكون تطبيق فيه نوع من الحتمية، والإبن هو المطبق لأوامر والديه التي تحقق مصالحه الذاتية، أما المواطن أرقى منهما لكونه هو المطبق لأوامر الحاكم التي تحقق مصلحته العامة ومنه الشخصية لأنه جزء لا يتجزأ من الكل(المجتمع) ومنفعته الشخصية هي بالضرورة منفعة المجتمع.

كذلك شرط آخر من شروط قيام المجتمع الإنساني وهو الولاء والإخلاص يقول **سبينوزا**: "يعتمد قيام الدولة أولا وقبل كل شئ على ولاء الرعايا وعلى فضيلتهم ومثابرتهم على تنفيذ الأوامر كما يشهد العقل والتجربة بوضوح تام"[2].

أ- شروط الفرد داخل الدولة:

وضع "**سبينوز**ا" شروط للفرد داخل الدولة هذه الشروط تدعوا إلى أن ينال حقه الكامل في السلطة من دون أي تهديد لسلامها الداخلي وتظهر هذه الشروط في:

" - يكفيه أن يترك للسلطة العليا مهمة اتخاذ القرارات العملية وألا يقوم بأي شئ ضد هذه القرارات و لو اضطر أن يسلك نحو مخالف لرأيه الذي يجاهر بصوابه حينئذ لا يمثل سلوكه أي خطورة على العدالة أو التقوى، واجبه أن يفعل ذلك إن أراد أن يكون عادلا تقيا، ذلك لأن العدالة تتعلق بمشيئة السلطة العليا وحدها، أما التقوى تؤدي إلى سلامة الدولة وأمنها الداخلي"[3].

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص ص274،275.

[2] المصدر نفسه ، ص385.

[3] المصدر نفسه، ص438.

شرط "**سبينوزا**" عدم تمرد الفرد على دولته ففي حالة كان قانون لم يعجبه له واسع النظر في التعبير عنه، بصورة سلمية جاهر بذلك ويكون بأسلوب حضري لا يضر بمكانة الدولة و**العدالة** أو التقوى، فمن الواجب أن يكون عادلا لأن من مقومات الدولة هي: العدل والتقوى والإحسان فأرقى أنواع التقوى هي حب الوطن فعند غياب كيان الدولة يغيب معه الأمن والخير، وينتشر الخوف والظلم والإستبداد في كل مكان إذ نستنتج أن الدولة هي أداة لحفظ وصيانة الأمن وكرامة الإنسان، يقول **سبينوزا**:

" لاشك أن الحب المقدس للوطن هو أسمى صور الشعور بالتقوى إذ يستطيع الإنسان أن يظهرها فلو زالت الدولة لكان معنى ذلك زوال كل شئ خير وضاع الأمن وانتشر الرعب والفسوق وعم الفزع في كل مكان"[1].

المبحث الثالث:البعد الإيتيقي لعلاقة الدين والسياسة.

المطلب الأول: الأخلاق عند سبينوزا:

1- ماهيتها:

لقد اهتمت الفلسفات عبر العصور بدراسة القيم الإيتيقية، إذ وضعت مذاهب ومدارس تهدف إلى استنباط **الأحكام الأخلاقية**،

" ترتبط الأخلاق بالسياسة ارتباطا وثيقا يصعب انفصاله وذلك لأنهما يتدخلان في منظومة القيم ،الأخلاق تحدد المعاني وقيم العلاقات الفردية المتبادلة وتسعى إلى تنظيمها في سلوك،كذلك الشأن مع السياسة فهي كالأخلاق تهدف إلى تكوين نمط معين من العلاقات الإنسانية بحدود المعاني والقيم،إنها تبادل عن الإرادة المتطلعة إلى كثرة الناس يعيشون في نظام سلمي"[2].

نظرية "**سبينوزا**" الإيتيقية تقوم على فكرة الحرية والإرادة والضرورة كما أكد على مبدأ التسامح، فكانت نظرته الفلسفية العقلانية تعتمد على الجانب الأخلاقي في تدعيم العلاقات الإنسانية وإرساء

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص425.

[2] ريمون بولا، **الأخلاق والسياسة**، تر:عادل العوا ، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا 1992م، ص ص 193،194.

ونشر روح المحبة والإحسان والتعاون بين الأفراد الدولة، والسياسة عند "**سبينوزا**" ليست مجرد نظرية بقدر ماهي عملية، فغاية الدولة هي غاية سياسية وأخلاقية بامتياز.

" البحث في النظرية الأخلاقية هو التأكيد على أهمية الحياة الاجتماعية، فمذهبه الأخلاقي النظري ينتهي إلى تمجيد الحياة الاجتماعية من حيث أنها هي التي تحقق كمال الشخصية الأخلاقية الفردية وتكفل الحرية الحقيقية للإنسان"[1].

ففي مجال الأخلاق يذهب "سبينوزا" إلى السعي إلى بلوغ الخير الأسمى والفوز بالسعادة الحقيقية، إذ تصف الأخلاق عنده بأنها أخلاق السعادة.

"**الأخلاق** عنده عاطفية طبيعية في مبدئها،عقلية نظرية في منتهاها ديكارتية في أصولها وقواعدها، وأفلاطونية في غايتها ومرماها"[2].

حيث أعطى للأخلاق مفهوم عقلي محض وعمل على استغلال العقل في إستنباط الأحكام الأخلاقية على غرار الكنيسة التي حرمت التفكير واعتبرته كفرا، فالإنسان هو محور مشروعه الأخلاقي والعقل هو مركز القيم الأخلاقية.

" أخلاق سبينوزا يونانية في جوهرها لأنه يعتبر محاولة فهم الأساس الأول لمعرفة الفضيلة وبهذا يتفق مع سقراط تماما الذي ذهب إلى أن الفضيلة هي المعرفة"[3].

إن مشروعه الأخلاقي لا يتمثل في تعويض حياة العواطف والأحاسيس بالقول فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى جعل الحياة العقلية فوق الحياة الوجدانية وتحويل حياة العاطفية إلى العقل.

" فنقطة البداية الأساسية في النظرية الأخلاقية هي الإدراك العقلي للإرتباط بين الإنسان وبين الطبيعة بوجه عام ومن ثم تأكيد سيادة فكرة الضرورة في مجال الإنسان بدوره"[4]. ففي أبواب كتابه "**علم لأخلاق**" تعرض لمبادئ الميتافيزيقيا التي ترتكز عليها الأسس الأخلاقية، إضافة إلى أنه

---

[1] فؤاد زكريا، **اسبينوزا**، المرجع السابق، ص229.

[2] يوسف كرم ، إبراهيم مدكور،**دروس في الفلسفة**، المرجع السابق، ص243.

[3] ول ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، المرجع السابق، ص224.

[4] المرجع نفسه ، ص202.

يبين لنا ما يجب أن نعرفه لكي يصبح المشروع الأخلاقي مشروع ممكن. "أخلاق سبينوزا ليست عنصرا أو جزءا من فلسفته،بل فلسفته كلها أخلاقية في مبادئها وأسسها وفي أبعادها ومساعيها"[1]. بالإضافة إلى زهده في كبح شهوات النفس، حيث دعا إلى التحكم في شهوة الحياة وخاصة شهوة رجال الدين في الحكم والاستغلال للأفراد وسلطان الكنيسة في تحقيق رغباتهم، كذلك **فكرة العدل،الحرية،المساواة،الحق،الإحسان،الطاعة**،كلها أفكار ومبادئ لها طابع إيتيقي.فأخلاقه جاءت رافضة للتمييز بين الأفراد وجاءت ضد العنصرية إذ يقول : **جلال الدين السعيد:**

" إيتيقا سبينوزا ترفض أن تقيم التمايز بين الكائنات على أساس التقابل الأكسيولوجي أي أساس التضارب بين القيم الأخلاقية أو الجمالية أو حتى المعرفية"[2].

2 – **أنواعها:**

قسم "**سبينوزا**" أربعة أنواع **للأخلاق** إذ تختلف هذه الأخيرة باختلاف أسلوب تطبيقها والغاية منها هي كالآتي:

أولا: " **الأخلاق الإنسانية اللينة** التي هي التواضع والتسامح والتضحية من أجل القريب، وهي أخلاق موجودة في الديانة المسيحية والبوذية وتميل إلى النظرة الديمقراطية في إدارة الحياة"[3].

التواضع والتسامح المغفرة والتضحية في سبيل القريب كلها قيم إيتيقية موجودة فقط في الديانة المسيحية والبوذية حسب وجهة نظر "**سبينوزا**"، إذ هذه القيم تحمل صفة **الديمقراطية** في تدبير شؤون الحياة،وتعود فكرة التضحية إلى فكرة **الواجب الأخلاقي** إذ أن التضحية تكون لآداء الواجب. " على كل إنسان أن يؤدي واجبه ذلك لأن الإنسان في هذه الحياة لا يعيش لنفسه فحسب بل يعيش له وللناس وآداء الواجب يؤدي إلى هذه السعادة"[4].

---

[1] باروخ سبينوزا،**علم الأخلاق**، المصدر السابق، ص17.

[2] جلال الدين السعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس**، المرجع السابق، ص97.

[3] إبراهيم الزيني، **اسبينوزا**، المرجع السابق، ص120.

[4] أحمد أمين، **كتاب الأخلاق**،(د.ط)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ،1923م، ص65.

ثانيا: " **الأخلاق التي تعبر عن الفضيلة** وتنبع من استخدام القوة وهي عكس المجموعة الأولى فيرى أن المبدعين والعباقرة يخسرون فرصتهم في الوصول إلى هدفهم"[1].

أخلاق الفضيلة التي مصدرها الثورة وهي عكس الأخلاق اللينة وهذه أخلاق خاصة بالعباقرة والمبدعين، يقول سبينوزا :" إن مبدأ الفضيلة هو ذات الجهد الذي يبذله المرء في سبيل حفظ كيانه الشخصي، و إن السعادة في قدرته على حفظ كيانه أن رغباتنا في الفضيلة يجب أن تكون لذات الفضيلة وأنه لا وجود أفضل منها ولا أكثر منها نفعا"[2].

ثالثا:"**الأخلاق المستمدة من المعرفة الحقة** التي نادى بها الفلاسفة الإغريق من أرسطو وأفلاطون وسقراط لأن من خلال المعرفة يمكن اتخاذ القرار الصائب حسب الحاجة"[3].

أخلاق المعرفة هي أخلاق صادقة يقينية ومطلقة لأنها تعتمد على العقل بالدرجة الأولى في اتخاذ القرارات.

رابعا: **أخلاق الدولة:** " **القيم الفكرية الأخلاقية** التي يتعامل بها نظام الدولة هنا ليست القيم السياسية الجامدة للدولة العقائدية أو الإيديولوجية، وإنما قيم التسامح والتوفيق بين الآراء والمذاهب"[4].

يذهب "**سبينوزا**" إلى القول بأن رجل الدولة لابد أن يكون مواطن صالح ، والمواطن الصالح لا يمكن أن يوجد إلا في دولة صالحة،فإنه من غير العادل أن نبحث في أخلاق الفرد بمعزل عن دراسة ماهو صالح للجماعة نفسها ولهذا من الضروري أن ندخل الأخلاق مع السياسة، فلقد بحث في الغاية من الدولة والتي تهدف إلى الحرية إذ يرى أن الدولة لابد أن تتأسس على العقل،والعدل أساسها كفضيلة إيتيقية، فيجب أن تساعد أفرادها على الوصول إلى السعادة والخير الأسمى وتحقيقهما وتشجيع كل ماهو خير ونبذ كل ماهو شر.فلسفة "**سبينوزا**" الأخلاقية مرتبطة بمباحثه

---

[1] إبراهيم الزيني، **اسبينوزا**، المرجع السابق، 120.

[2] باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، المصدر السابق، ص ص249،248.

[3] إبراهيم الزيني، **اسبينوزا**، المرجع السابق، ص ص 121،120.

[4] محمد مسكية ، **نقد اللاهوت السياسي عند سبينوزا** ، مجلة المدونة ، مجلد 8، العدد3 سبتمبر، جامعة قاصدي مرباح، مخبر علوم النفس المعرفي والاضطرابات السوسيوعاطفية، وقلة،2021م، ص2483.

السياسية وكذلك ارتباط مجال الإيتيقا مع الجانب الطبيعي والديني، " يبدأ سبينوزا بحثه بأن يجعل السعادة هدفا للأخلاق ويعرف السعادة ببساطة بكونها ووجود اللذة وانتقاء الألم"[1].

• تجليات السعادة عند "**سبينوزا**" تنحصر في:

1- **الثراء**. 2- **المجد**. 3- **اللذة الحسية**.

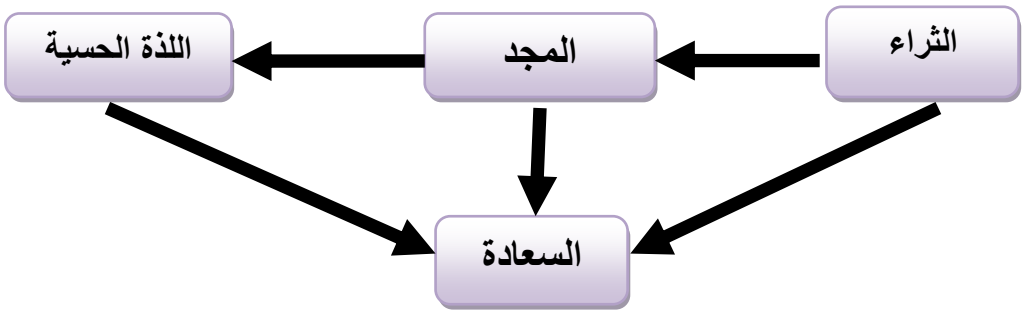

فالنفس تتعلق باللذة الحسية لأنها ترتاح إليها، والسعي إلى المجد والثراء لا يشغل الفكر حسب رأي وتصور "**سبينوزا**" مثلما تشغله اللذة، أما المجد فهو شغل العقل الذي يبحث عن الخير الأسمى، يقول:" وإذا كانت السعادة العظمى في الثراء والمجد فإني سأكون قد تنازلت عنهما مما سيجعلني أفقد السعادة المنشودة وأيضا يراودني القلق حينها"[2].

يدعو "**سبينوزا**" إلى عدم ربط أنفسنا ومصيرنا بشئ يحمل الفساد داخله وهذه هي الفضيلة الإيتيقية، إذ حث على ضرورة البحث عن شئ لا يحمل الفساد في طياته وأن يكون أبدي مطلق لا نسبي متغير،فيقول: " فإن المجد يقف هو الآخر حائلا كبيرا أمام تحقيق السعادة لأن الفوز به يقتضي من المرء أن يوجه حياته وفقا لما يراه الناس.أي أن يتجنب ما يتجنبون عموما وأن يسعى إلى ما يسعون إليه"[3].

---

[1] كامل محمد محمد عويضة ، **باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد**، المرجع السابق، ص111.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في إصلاح العقل**، المصدر السابق، ص ص 27،28.

[3] المصدر نفسه،ص ص 27،28.

المطلب الثاني: الخير والشر.

يقول **سبينوزا:** " الخير الذي يرغبه لنفسه كل من يتبع الفضيلة إنما هو يرغبه أيضا لغيره وتقوى عليه رغبته بقدر ما تزداد معرفته بالله"[1].

يدعونا إلى فكرة **العيش المشترك** داخل المجتمع فالخير هو ما كان نافعا للمجتمع والشر ما كان ضارا له إذ رفض فكرة الكراهية لأنها فكرة غير أخلاقية، فكانت غايته بناء فلسفة تقوم على الحق والحرية فالفضيلة هي خير والرذيلة شر.

يقول: "كل ما يساعد الناس على الحياة الاجتماعية أعني على العيش في وئام يكون نافعا،وكل ما يدخل الشقاق داخل الدولة يكون سيئا...لا يمكن للكراهية أن تكون خيرا أبدا"[2].

ودعا إلى الإستحسان كفضيلة و**قيمة إيتيقية** بين الناس فيرمي إلى حب الآخر وتقبله في المجتمع وحب الخير للغير يكون بنفس حبنا لأنفسنا، وتظهر الفضيلة في محافظة الإنسان على وجوده فجوهرها.

"ومن ثمة فإنه في نظر سبينوزا يعتبر الخير والشر أو الفضيلة والرذيلة تلك مستويات أخلاقية، وتعبر في نفس الوقت على المساواة مع مستويات أحكام المعرفة في الصواب والخطأ"[3].

يقول **سبينوزا:**" إن كل هذه الشرور قد نشأت من اقتناعنا بأن سعادتنا أو تعاستنا منشأها الشئ الذي نحبه، لا نحن شيء معينا ولا يكون هناك موضوع نحبه على الإطلاق فإننا لا نتصارع من أجله ولا نشقى إن فقدناه،ولا نحسد من يحصل عليه ولا نشعر بخوف أو بكراهية، إن كل هذه المشاعر وكل هذه الشرور تنشأ من حبنا لموضوعات زائلة أو لموضوعات دنيوية محدودة"[4].

حيث استخلص أن **الكنيسة** هي المصدر الأول والوحيد لكل الشرور إذ يقول:" ولقد بحثت عن سبب هذا الشر ووجدته دون عناء النظر إلى مهام تنظيم الكنيسة على أنها شرف إلى وظائف

---

[1] سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص264.

[2] باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، المصدر السابق ، ص ص271-274.

[3] علي محمد عبد المعطي ، **تيارات فلسفية حديثة** ، المرجع السابق، ص226.

[4] جوازيا رويس، **روح الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص ص139،138.

القائمين على أنها مصادر الدخل، فأصبح **الدين** عند العامي إتباعا لمظاهر تكريم رجال الدين"[1]. انسلخ **الدين** من جوهره وماهيته وفقد قيمته ، إذ أصبح مجرد تقليد وتكريم لرجال الدين وإتباع للممارسات التي يقوم بها الكهنة، فقوام الدين ليس الأفعال الخارجية وتقليدها وإنما هو تهذيب النفس ولا يمكن إجبار أي إنسان بالقوة أو بالقانون على الحصول على السعادة الداخلية أو الروحية.

المطلب الثالث: نقد البناء الأخلاقي اللاهوتي.

عالج"**سبينوزا**" الأخلاق اللاهوتية إنه نفى الغائية المتمحورة حول فكرة الإنسان والتي تمسكت بها السلطة اللاهوتية لكي تفرض سلطانها على الأفراد، وذلك من خلال طرحها لمجموعة من القيم اللاهوتية،إلا أن "**سبينوزا**" يعتبر أن الفرد كائن شأنه شأن الكائنات الأخرى يخضع لما يسمى بقانون الطبيعة، و تتخلص الغاية في:

" أن العالم تحكمه أهداف في الذهن فكل شئ مما يتناسب بطريقة ما مع الخطة الإلهية ولماذا خلق العالم أصلا؟...ولابد للوجود وتاريخ الكون كله من هدف أو غرض، بل لابد من لكل ما يوجد في الكون،وكل حادثة تقع فيه من هدف أو غرض، ولابد لمثل هذا الغرض أن يتلائم مع الخطة العظيمة والتخطيط العام للكل"[2].

ترتبط فكرة الغاية بفكرة الخطيئة،ويقصد "**سبينوزا**" خطيئة النبي آدم عندما أكل التفاحة، فهذا العالم يسوده نظام لابد له من غاية تحكمه لأنه محكم بواسطة خطيئته، وناتج عنها والإعراض عن هذه الخطيئة لا يكون إلا بواسطة طاعة وإتباع القانون الإلهي الذي هو خير ومخالفته هي شر. "الإرادة الإلهية هي المعيار المطلق والنهائي للأخلاق بمعنى أنه لا شئ خارج ما يأمر به الله وما ينهي عنه الله يمكنه أن يكون أساسا لاشتقاق الواجبات الأخلاقية"[3]. فيأتي دور المؤسسة

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص113.

[2] ولتر ستيس، **الدين والعقل الحديث**، تر إمام عبد الفتاح إمام ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1998م ص ص 35،36.

[3] عادل ظاهر،**الأسس الفلسفية للعلمانية**، ط2، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ص194.

الدينية التي اتخذت من نفسها بمثابة حلقة وصل بين الأرض والسماء فسلطة سياسية تباركها الكنيسة حتى إن كانت ظالمة أو عادلة ،إذ اعتبرت أن كل فرد أراد أن يبرأ خطيئته عليه أن يعترف بذنبه ويشتري صكا للغفران.

المطلب الرابع: نقد المؤسسة اللاهوتية في الشأن السياسي.

يأخذ النقد السبينوزي للاهوت محطة أساسية وهي نقد دور المؤسسة الدينية في الشأن السياسي ،إذ يؤكد "**سبينوزا**" على فصل الدولة عن الدين وكان نقده للنظام اللاهوتي جارحا إذ يوجه نقدا للكنيسة التي تقدم القوانين على أساس أنها إلهية مطلقة تخدم المصالح العامة "التزم سبينوزا أن يقف موقفا نقديا من النظم السياسية التي تحقق رغبته في مجتمع مدني وتحفظ لأفراده حق التعبير والإعتقاد والحياة الكريمة والعمل على محاربة نوازع الشر في النفس البشرية بالقانون، فكان من تلك النظم التي عمل على تفكيكها النظام الثيوقراطي والملكي والأرستقراطي، مؤسسا بذلك لنظام جمهوري لتحقيق الحرية لسلامة الدولة "[1]،

يقول:" إذا ارتكب الذين يحكمون الدولة أو الذين يرأسونها جرما ما،فإنهم يحاولون دائما إخفاءه تحت ستار من القانون وإقناع الشعب بأن سلوكهم جدير بالثناء وهم ينجحون في ذلك بلا عناء، لأنهم وحدهم الذين لهم الحق في تفسير القانون ومن ثمة يشتغلون بهذه الميزة في ارتكاب كل أفعالهم المغرضة وما تدفعهم الشهوة إليه"[2].

يعني أن رجال الدين يدعون أنهم رجال قانون وعند ارتكاب أي رذيلة يخفونها بإسم القانون إذ عملوا على سيطرة العقول على أن سلوكهم هو الصائب ويستحق كل التشجيع والمدح يؤكد "**سبينوزا**" على أن **الكنيسة** هي مصدر كل الشرور من خلال العنصرية التي تقوم بها داخل المجتمع، إذ تقتصر مهامها على خدمة رجال الدين دون عامة الناس ويؤكد ذلك في قوله:

"ومنذ أن شاع الفساد داخل الكنيسة فقد استحوذت رغبة جازفة في دخول الكهنوت في قلوب أكثر الناس شرا، انقلب الحماس وتفسير الدين إلى شهوة وتحولت الكنائس إلى مسارح لا يسمع

---

[1] مالك المكانين ، **الدولة العلمانية لدى سبينوزا** ، المرجع السابق ، ص ص180،179.

[2] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص398.

فيها الفرد علماء الدين بل خطباء الكنيسة الذين لا رغبة لديهم في تعليم الناس،بل يستهدفون إثارة الإعجاب بهم"[1].

ذاع صيت الفساد داخل **الكنيسة** حيث أخذوا منحى آخر من تفسير الدين وتعليمه إلى الرغبة في الشهرة وتحقيق الطموح، إذ تحولت هذه الكنائس إلى مسارح تلغي وجود الفرد،بل أكثر من ذلك أصبحت **الخطابات** التي يلقيها القساوسة والباباوات خطابات نفعية تهدف إلى استهواء الأفراد والإعجاب بهم، إذ تجاوز كل منهم مهامه وواجباته التي من المفروض أن يأدونها على أكمل وجه اتجاه الفرد وهي خدمة الدين وتعليمه وتفسيره.

" يرى سبينوزا أن عمل اللاهوتيين عقائدي يتمثل في استثمار النص الديني للسيطرة على سلوك الأفراد وجعلهم يطيعون عن غير رضى فغاية الإيمان هي الطاعة وإن أكثر الناس طاعة هم أكثرهم إيمانا"[2].

ضف إلى ذلك تقصيرهم في تعليم الناس أصول ومبادئ التفكير الصحيح، كذلك أصبحوا يعلمون الأفراد تعاليم جديدة ومتناقضة لما تعودوا عليه بهدف إثارة فيهم روح الدهشة والتساؤل،أيضا أنها همشت قدرة الفرد الفكرية وجعلته منحط لا قيمة له وسعت إلى ربط الإنسان بالتراث الخرافي الأسطوري بعيدا عن كل تفكير عقلاني، يقول **سبينوزا:**

" ويفرضون تعاليم جديدة لم يتعودها أحد لإثارة الدهشة وقد أدى هذا الموقف بالضرورة إلى صراع مر، وإلى حسد وحقد لم تستطيع الثورات الطويلة التخفيف من حدته، إن لم يبقى من الدين الأصلي إلا العبادة الخارجية وهي عند العامة أقرب إلى التملق منها إلى عبادة الله"[3].

هذا الصراع امتد وظل أزمنه ولم يحسم أمر الدين، بل تراجع عن جوهره الأصلي وبقي منه إلا الظاهر وهو العبادات الخارجية التي هي مجرد تقليد وهي عامية بدون معنى، " سبينوزا يوجه نقدا للسلطة اللاهوتية من حيث أنها تسخر النص اللاهوتي وتؤوله قسرا بما يتوافق مع معتقدات

---

[1] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق ، ص113.

[2] محمد مسكية ، **نقد اللاهوت السياسي عند سبينوزا**، المرجع السابق، ص ص 2484

[3] باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، المصدر السابق، ص113.

رجالها،ومن ثم تعمل على نشر قيم تحمل نقمة عاطفية تستميل الجمهور نحوها بما يسهل لها فرض سيطرتها عليهم"[1].

العقائد والقيم تسربت تحت إطار المؤسسة الدينية وأن من اتبعهم فهو مؤمن ومن خالفهم فهو كافر،حيث بسطت نفوذها وأخضعت الناس جميعا تحت سلطان البابا والأحبار طاعة لأوامره إذ جعلت منهم آلهة من دون الله يطيعونها العباد ويطبقون كل ما تأتي به من آراء ومبادئ،

لقوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا**﴾"[2].

" **الكنيسة** استخدمت من سلطانها الذي حاربت من أجل الحصول عليه وأراقت الدماء في إخضاع الناس جميعا،ملوكهم ورعاعهم لهواها هي وجبروتها هي فجعلت من رجالها أرباب من دون الله وعبدت الناس لهم من دون الله"[3].

سبينوزا في **مشروعه السياسي** حاول أن ينظر لمجتمع سياسي ليبرالي، من خلال فصل **الدين** عن **الدولة** إذ تسعى الدولة إلى تحقيق غاياتها، **فالنسق السياسي** السبينوزي مبني على حماية الدولة أو **السلطة السياسية** لحقوق الأفراد وحريتهم وإلغاء التبعية لنظام سياسي معين أو للكنيسة

" ويرى أن الفرق الدينية لا تظهر إلا في اللحظة التي يتدخل فيها رجال اللاهوت في شؤون الدولة ويبيحون لأنفسهم صفة اتخاذ القرارات ومحاسبة الناس بإسم الدين كي يضعوا القداسية على قراراتهم"[4].

ففكرة إخضاع **الدين** للدولة أراد من خلالها إعطاء قوة القانون،إذ يقوم بتطبيق الأنظمة السياسية الممكنة ويقوم بتلخيص ماهو أساسي ويقول: " تأسيس نظام سياسي ماهو أمر يخص الحالة الاجتماعية ويسمي الجسم المكتمل للدولة الأمة، أما الشؤون العامة المرتبطة بالشخص

---

[1] محمد مسكية ، **نقد اللاهوت السياسي عند سبينوزا**، المرجع السابق، ص24485.

[2] **سورة التوبة**، الآية31.

[3] محمد قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ-1993م، ص44

[4] محمد مسكية ، **نقد اللاهوت السياسي عند باروخ سبينوزا**، المرجع السابق، ص2482.

الذي يمارس السلطة السياسية فتسمى الجماعة العمومية والبشر الذين يتمتعون في إطار الأمة بكل الإمتيازات الطبيعية نسميهم مواطنين لأنهم مجبرون على طاعة المؤسسات والقوانين الوطنية ونطلق عليهم رعايا"[1].

فكان بحثه السياسي يطمح للوصول إلى مجتمع راقي ومزدهر بدعوة جعل الدولة أداة لحماية الحريات الفردية بكل أنواعها:**السياسية،الدينية،الأخلاقية** وحتى **الفكرية** ومن هنا كانت دعوته ملحة إلى ضرورة تفويض تلك الفلسفات الكلاسيكية التي كانت تدعوا إلى ضرورة ممارسة **السلطة السياسية** بالقوة والقهر.

[1] فريدريك لونوار، **المعجزة السبينوزية فلسفة لإنارة حياتنا**، المرجع السابق، ص ص116،115.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تعرضنا له من مباحث ومطالب في هذا الفصل توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن حصرها في:

• مشروع سبينوزا السياسي ذو أهمية في عالمنا اليوم لأن تحليله للموقف السياسي هو تعليم سياسي صحيح إذ فسره تفسيرا عقليا لأن البناء السياسي هو المبني على أساس تحقيق المنفعة العامة لا الخاصة .

• صياغة "سبينوزا" للفلسفة سياسية ديمقراطية إذ وضح لنا الصعوبات التي يواجهها المدافعين عن مبدأ الحرية ولا سيما فشل إمكانية الحفاظ عليها في غياب التفلسف والتأمل من منطلق أن الفلسفة هي أساس الدفاع عن الديمقراطية.

• السلطة السياسية لا تتعارض مع الحرية الفكرية الفلسفية أو الدينية.

• حملت فلسفته الأخلاقية مبادئ تعلي من شأن الإنسان ككائن إيتيقي، فإنه يعتبر الأخلاق أخلاقا إذا حملت في طياتها أبعاد إنسانية.

خاتمة

الخاتمة :

تعتبر **فلسفة سبينوزا الدينية والسياسية** من أولويات العصر الراهن لأنها تربط ما بين الفكر الحديث والتصورات التقليدية لوظيفة الفلسفة، ففهم طبيعة الإنسان وتحليله للموقف السياسي والديني هو بالتالي تعليم **ديني وسياسي** صحيح، لأن فلسفته هي الإرهاص الأول والحاضر الذي دفع بالأبحاث فيما بعد على اعتبار أنه أول من تجرأ على وضع **النص المقدس** موضع نقد، حيث يعتبر "**باروخ سبينوزا**" من الفلاسفة القلائل الذين فضلوا الفلسفة وحب التأمل على الرفعة الاجتماعية والمكانة المادية ونظر لفلسفة تحارب تكميم الأفواه وتكبيل العقول.

قدم "سبينوزا" مفهوم وتصور مختلف لكل من **الدين والفلسفة** وذلك من خلال الفصل بينهما، فمن خلال مشروعه النقدي للأنساق اللاهوتية وضع الخطوط العريضة واللبنة الأولى للمناهج النقدية التي ظهرت في القرون المعاصرة.

عملت فلسفته على تحرير العقل من هيمنة اللاهوت من خلال الحرية الفكرية والفلسفية ودفاعه عن الديمقراطية والدولة العلمانية ونقده للنظام **الثيواقراطي** ، فرسالته كانت ثورة على الأوضاع السائدة في عصره إذ عمد إلى عدم الخلط ما بين البدع الإنسانية والتعاليم اليهودية.

ما يميز فلسفته هي النظرة التكاملية بين الله والعالم والطبيعة وفكرة وحدة الوجود من منطلق أن كل الموجودات ذات جوهر واحد.

تعتبر فلسفته إرهاصا كبيرا على البيئة الفكرية السائدة خلال عصره وذلك من خلال نقده للنص المقدس باستعمال العقل الذي سار على نهجه كل من " **كانط**" و"**ديكارت**".

مشروعه النقدي للسلطة الروحية كان موضوع يستوجب البحث إذ تناول كل أشكال المقدسات : من نص ونبوة ووحي وأنبياء وصولا إلى المعجزات ، وعالجها بشكل عقلي حيث أخرجها من قالبها الإلهي وجعلها حادثة إنسانية بالدرجة الأولى ورفض كل تفاسير النص المقدس التي تقوم على تأويلات خرافية تتميز بالأساطير والأوهام، كما رفض سلطة اللاهوت في تفسير و**تأويل الكتاب المقدس** وجعل من فعل التأويل مباح لكل فرد.

جاء بفلسفة مكملة للحركات الإصلاحية الأوروبية مع "**كالفن**" و"**ميكيافيلي**" وغيرهم إبان فجر النهضة ، فكانت بمثابة مرآة عاكسة للأوضاع الدينية والسياسية وهذا ما أدى إلى تبلور فلسفته وخطابه الديني والسياسي.

كذلك مشروعه السياسي ذو أولوية وراهنية اليوم خاصة والانتهاكات السياسية الغير مشروعة التي يشهدها العالم في ظل غياب الحرية، إذ **فصل بين السلطة الروحية والزمنية** بسبب الإستغلال الذي عرفه المجتمع الأوروبي من طرف رجال الدين، فمشروعه للحرية يهدف الى إنشاء مجتمع مدني ديمقراطي حر فدعوته كانت نحو تحقيق دولة ديمقراطية حرة لأنه رأى فيها الحل الأمثل لتجاوز كل التعصبات السياسية والدينية ، بهدف غرس قيمة ايتقية هي العدالة ولا يتحقق ذلك إلا من خلال **الفصل بين اللاهوت والسياسية** ، فعقلانية فلسفته تستلزم علينا القول بأن الإنسان حر في بيئته **السياسية والدينية.**

تحولت فلسفة الدين مع "**سبينوزا**" من فلسفة نظرية إلى فلسفة براكسيس ويظهر ذلك جليا في فكرة العلمانية التي أعلت من مستوى الإنسانية.

التربية على العلمانية تستلزم أكثر من أي وقت مضى مجابهة الجهل الذي مصدره مشاكل سوء الفهم، لأن **العلمانية** جاءت لتحقيق فكرة **الحرية والمساواة** وإلغاء امتيازات الكنيسة، كذلك فكرة أن الأب الرعية وهو المفوض من عند الله وهو لا يمتع بنفس الحقوق والواجبات مع بقية أفراد الشعب.

العلمانية هي الدعوة إلى تجديد ممارسات الدين التي نأمل أن تطبق في المجتمع الغربي الأنجلو سكسوني، خاصة في مشكلة الحجاب في فرنسا،وللأسف فإن ما نلاحظه اليوم هو العكس من منطلق أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي لا يمد بصلة للعلمانية في ظل الإنتهاكات الغير إنسانية التي تحدث يوميا في العالم العربي أو الغربي على حد السواء، وخير مثال: **دولة فلسطين والكيان الصهيوني الذين يحملون العداوة فيما بينهم بسبب القرآن والتلمود**، كذلك فكرة **التسامح الديني والسؤال هنا يبقى مطروح هل هذه الفكرة طبقت؟ ومشروع "سبينوزا" في العلمانية هل أخذ بعين الإعتبار؟ و إذا كان فعلا التأويل علم فاللاهوت علم**

متعلق فقط بالدين فيمكننا أن نتساءل: **لماذا يتواجد معهد دراسة الأديان في قلب باريس؟** ألا يجدر به أن يكون في قلب العالم العربي لأجل التعمق في فهم **النصوص المقدسة** بهدف استخلاص منها الحلول للحد من الحروب التي غزت العالم، ومنه فالتعليم العلماني **مشروع ديمقراطي** حامل في طياته لبذور الأمل والإنسانية والأخلاقية التي هي عند "**سبينوزا**" فلسفة حتمية والتي نطمح أن لا تظل حبرا على ورق.

الملاحق

تثبيت المصطلحات :

المصطلح باللغة العربية:	المصطلح باللغة الإنجليزية:
الخطاب	Discourse
الدين	Religion
السياسة	Policy
التأويل	Hermeneutics
التوراة	Torah
التلمود	Tamud
الأسفار الخمسة	The Pentateuch
الإنجيل	Bible
اللاهوت	Theology
الوحي	Revelation
الكنيسة	Church
المقدس	Holy
القانون الإلهي	Divine Law
القانون	Law
السلطة	Authority
الدولة	State
الحكومة	Government
الأرستقراطية	Aristocrat
الديمقراطية	Democratic
الثيوقراطي	Theocratic

Freedom	**الحرية**
Right	**الحق**
Duty	**الواجب**
Secular	**العلمانية**
Good	**الخير**
Evil	**الشر**
Moral	**الأخلاق**
Ethics	**الإيتيقا**
Toleration	**التسامح**
Happiness	**السعادة**
World	**العالم**
Nature	**الطبيعة**
Exitence	**الوجود**
Infinity	**اللامتناهي**
Essence	**الجوهر**
Modernty	**الحداثة**

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم:**

- **التفاسير:**

• أبي فداء إسماعيل ابن عمر كثير، تفسير القرآن العظيم،د.ط،دار ابن حزم،بيروت،1420هـ-2000م.

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية:

1. باروخ سبينوزا، أفكار ميتافيزيقية، تر:جلال الدين السعيد،د.ط،المركز الوطني للترجمة،تونس،2015م.

2. باروخ سبينوزا،رسالة في إصلاح العقل،تر:جلال الدين السعيد،ط2،مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،2017م

3. باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر:حسن حنفي، طَ1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2005م.

4. باروخ سبينوزا، علم الأخلاق، تر:جلال السعيد، طَ1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،2009م.

ثانيا: قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

1.Baruch Spinoza, **Ouvres Complétés**, Texte nouvellement , Traduit Ou revu, Présent et annoté par Roland Ciallois ,Medleine Francies et Robert Misrali, Bibliothèquedelapléaide1er edution Paris ,France, 1995.

2.Spinoza Benedict ,**Theologice Polical,** Treatise,Worksof Benedict Spinoza ,Transonintro diction by RHM,Elwes,New York ,1951 .

ثالثا: قائمة المراجع باللغة العربية:

1.أ.ف توملين، فلاسفة الشرق، تر:عبد الحليم سليم،ط2،دار المعارف،القاهرة1980م.

2.إبراهيم الزيني، باروخ سبينوزا، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة،2013م.

3.إبراهيم غانم البيومي، تجديد الخطاب الديني في مصر، تحليل آراء عينة من الجمهور، م2، د.ط، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة،2000م.

4.إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ط3، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،2000م.

5.أحمد أمين، كتاب الأخلاق، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 1923م.

6.إسماعيل محمد علي، فن الخطابة ومهارات الخطيب(بحوث في إعداد الخطيب والداعية) ط5، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1437هـ-2012م.

7.أشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار واتا للنشر الرقمي، الكويت،2009م.

8.إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة(دراسة في فلسفة الحكم)،د.ط، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة،2002م.

9. إيمانويل كانط، الدين في حدود مجرد العقل، تر: فتحي المسكيني، ط1، جداول للنشر والتوزيع، لبنان،2012م.

10.ايميل برييه، تاريخ الفلسفة، تر:جورج طرابيشي، ج4،القرن السابع عشر، ط1،ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1983م.

11.برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ك03، الفلسفة الحديثة، تر:محمد فتحي الشنيطي، د.ط، المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1977م.

12.برتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، تر: فؤاد زكرياء، د.ط، ج2، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر1983م.

13.بول تيليش ، الشجاعة من أجل الوجود، تر: كمال يوسف حسين، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1987م.

14.بيارفرنسوا مورد، اسبينوزا والأسبينوزية، تر:جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا،2008م.

15.جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، تر:محمد عرب صاصيلا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،1413هـ-1993م.

16.جلال الدين السعيد، سبينوزا والكتاب المقدس(الدين والأخلاق والسياسة)، ط1، مؤمنون بلاحدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب،2017م.

17.جوازيا رويس، روح الفلسفة الحديثة، تر: أحمد الأنصاري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2003م.

18.دانيال هيرقة ليجيه وجان بول ويلام، سيوسيولوجيا الدين، تر: درويش الحلوجي، د.ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2005م

19.ريمون بولا، الأخلاق والسياسة، تر:عادل العوا، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا،1992م.

20.زاك سيلفان، اسبينوزا وتأويل الكتاب المقدس، د.ط، دار PUF للنشر، باريس،1965م.

21.زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، د.ط، هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 1936م.

22.سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2016م.

23.شوقي عطاء الله الجمل،عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، د.ط، المكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة،2000م.

24.صالح هاشم، مدخل إلى التنوير الأوروبي، د.ط، دار الطليعة، بيروت،2005م.

25.عادل ظاهر، الأسس الفلسفية للعلمانية، ط2، دار الساقي، بيروت، لبنان،1998م.

26.عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر الثامن عشر، د.ط، دار الفكر الغربي، مدينة نصر، القاهرة، مصر،1998م.

27.عبد السلام عبد الرزاق البيطار، الخطاب السياسي في القرآن الكريم، ط1، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان،2018م.

28.عصمت النصار، الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي نجيب محفوظ، د.ط، دار العلوم بالفيوم، القاهرة،2002م.

29.عفت محمد الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية للاتجاهات النفسية في العصر الجديد، ط2، دار العودة، بيروت،1979م.

30.علي عبد المعطي، تيارات فلسفية حديثة، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1999م.

31.علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، د.ط، دار الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، د.س.

32.غنار سكيربك، نلز غيجلي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن20، تر: حيدر الحاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2012م.

33.فاطمة حداد الشامخ، الفلسفة النسقية ونسق الفلسفة السياسية عند سبينوزا، تر:جلال الدين السعيد، ط2، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والأبحاث، المملكة المغربية، الرباط، 2017م.

34.فريال حسن خليفة، الدين والسياسة في فلسفة الحداثة، د.ط، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،2005م.

35.فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى ليبنتز، تر: سعيد توفيق،محمود سيد أحمد م4، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2013م.

36.فريدريك لونوار، المعجزة السبينوزية فلسفة لإنارة حياتنا، تر: محمد عادل مطيمط، د.ط، دار التنوير للنشر والتوزيع، د.ب،2020م.

37.فريدريك لونوار، في السعادة رحلة فلسفية، د.ط، دار التنوير للطباعة والنشر، د.ب، 2016م.

38.فؤاد زكريا، سبينوزا، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.

39.كامل محمد محمد عويضة، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1413هـ-1993م.

40.كريستيان دولا كماني،الفلسفة السياسية اليوم،(أفكار مجادلات.رهانات)،تر:نبيل سعيد، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر،2003م.

41.كريم متى، الفلسفة الحديثة عرض نقدي، ط2، دار أويا، ليبيا،2000م.

42.كونتغاهم جون، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي،ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا،1997م.

43.كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط1، دار الإيمان، الرباط، 2004م.

44.ليوشتراوس جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية،من ثيوكيديدس حتى سبينوزا، تر: سيد أحمد، د.ط، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2005م.

45.ماجد الغرباوي، إشكاليات التجديد، ط1، دار الهدى، بيروت،2001م.

46.محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، تر: محمد يوسف عدس، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،2011م.

47.محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط7، دار الشروق، 1413هـ-1993م.

48.منذر شباني،اسبينوزا واللاهوت، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا،2009م.

49.موريس بوكاري، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت،1411هـ-1990م.

50.ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،1987م.

51.هنري توماس، ودانالي توماس، المفكرون، (من سقراط إلى سارتر)، تر:عثمان نوية، د.ط، ملتزم للطباعة والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1970م.

52.ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، تر: فتح الله محمد المشعشع، ط5، مكتبة المعارف، بيروت،1985م.

53.ولتر ستيس، الدين والعقل الحديث، تر:إمام عبد الفتاح إمام، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1998م.

54.ويليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر:محمد سيد أحمد، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، د.ب ،2001م.

55.يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،2012م.

56. يوسف كرم،إبراهيم مذكور، دروس في الفلسفة، ط1، عالم الآداب للترجمة والنشر، بيروت، لبنان،2012م.

رابعا:<u>المراجع باللغة الأجنبية</u>:

1. Jean Jacque Rousseau, The Social Contract and Discourse, Trausintr By GDH , Col Everyman Slibray, New York, 1978.

2. John Locke, Lettre sur Tolérance, Coll, Gf, Flammarion Paris, 1999.

3. Karl Marx and Engeles.On Religion, Selmochen Books, New York, 1971.

خامسا: قائمة المعاجم والموسوعات:

1. إبـــراهيم أنـــس وآخـــرون،المعجم الوســـيط، ط4، مكتبـــة الشـــروق الدوليـــة، بيروت،لبنان،2004م.

2. إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، د.ط،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر،1403هـ-1973م.

3. ابن منظور، لسان العرب، م1،2،3، د.ط ، دار صادر، بيروت، لبنان،1992م.

4. أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة،1968م.

5. أندريـه لالانـد، موسـوعة لالانـد الفلسـفية، تر:خليـل أحمـد خيلي،المجلـد1، منشـورات عويدات، بيروت، باريس،2001م.

6. بطرس البستاني، قاموس المحيط، د.ط، مطابع تيوبرس، بيروت، لبنان،1987م.

7. جلال الدين السعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د.ط، دار الجنوب للنشر، تونس،2004م.

8. جميـــــل صـــــليبا،المعجم الفلســـــفي،الجزء الأول،ط1،دار الكتـــــاب اللبناني،بيروت،لبنان،1982م.

9. جـورج طرابيشـي، معجـم الفلاسـفة(المناطقة، اللاهوتيـون، المتكلمـون)،ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2006م.

10. حسـن حنفـي، الموسـوعة النقديـة للفلسـفة اليهوديـة، ط1، مكتبـة مـدبولي، القاهرة،1980م.

11. رونـي إيليـا ألفـا، موسـوعة أعـلام الفلسـفة العـرب والأجانـب، تر:جـورج نخـل، ج1،2،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1412هـ-1992م.

12. عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.

13. عبد المنعم حنفي، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط1. مكتبة مدبولي، القاهرة،1980م.

14. عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلاسفة ومتصوفة اليهود، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة،1994م

15. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5،ط1، دار الشروق، القاهرة،1999م.

16. محمد الجرجاني، معجم التعريفات، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة،1413م

17. محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، المجلد الأول،ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1971م.

18. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، د.ط، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،2007م.

19. مصطفى حسيبة،المعجم الفلسفي،ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن،عمان،2009م.

20. موسوعة ستانفورد للفلسفة، تر:أمين حمزاوي، د.ط، حكمة،2021م.

سادسا:<u>قائمة المجلات</u>:

1. أحمد كمال أبو المجد، حول الخطاب الديني المعاصر، مجلة وجهات النظر،العدد 38، دار الشروق،القاهرة، 2003م.

2. أيوب عماري، معالم المنهج السبينوزي في الفكر الفلسفي، مجلة لوغوس، العدد7،8، مخبر الفلسفة وتاريخها، سبتمبر2017م.

3. جابر محمد عبد الموجود، اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الإعلامية، العدد18، جامعة الأزهر، القاهرة،2002م.

4. خنوس نور الدين، الاتجاهات العامة لإشكالية التأويل ونقد النص المقدس بين باروخ سبينوزا ومحمد أركون، مجلة تاريخ العلوم، العدد10، المركز الجامعي، البيض، ديسمبر 2017م.

5. الزواوي باغورة، بين اللغة والخطاب مقاربة فلسفية اجتماعية، مجلة إنسانيات ، العدد 17،18 ماي،مراكز البحث في الأنثربولوجية الاجتماعية الثقافية،وهران، ديسمبر 2020م.

6. عبد الله الراشد العرقان، الخطاب السياسي الأمريكي اتجاه العراق، مجلة دراسات وأبحاث العربية في العلوم الإنسانية، العدد03 ،المجلد1 ، د.ب، سبتمبر 2018م.

7. عبد الله السيد، مجلة الإحياء الحق الطبيعي ومقاصد الشريعة، د.ع، د.م ،الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب،2016م.

8. محمد مسكية، نقد اللاهوت السياسي عند سبينوزا، مجلة المدونة، المجلد 08، مخبر علم النفس المعرفي والاضطراب السيوسيو عاطفية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ديسمبر 2021م.

9. مصطفى كريم فاضل الخفاجي، فلسفة الدين والسياسة عند باروخ سبينوزا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد01، العدد03، مركز بابل للدراسات الحضارية التاريخية، 2020م.

10. مالك المكانين، الدولة العلمانية لدى سبينوزا، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد26، 1926م.

11. منذر شباني، فلسفة الدين عند سبينوزا، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، العدد03، المجلد37، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ،2015م.

سابعا:<u>قائمة المذكرات والرسائل الجامعية</u>:

1.أيوب عماري، وحدة الوجود عند باروخ سبينوزا، دراسة تحليلية نقدية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص فلسفة عامة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران02، الجزائر،2016م 2017م.

2.رحال عباسية، الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص فلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر،2014م-2015م،

3.محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارة إلى أنسنة الحضارة وثقافة الإسلام، سلسلة أطروحات دكتوراه منشورة، العدد58، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ–و
الفصل الأول: جينيالوجيا وأركيولوجيا الخطاب الديني والسياسي	08
تمهيد الفصل	10
المبحث الأول:الخطاب بين النشأة والتطور	11
المطلب الأول:ماهية الخطاب	11
المطلب الثاني:نشأته وتطوره	14
المطلب الثالث:العناصر الأساسية المشكلة للخطاب	16
المطلب الرابع: أنواع الخطاب	18
المبحث الثاني: ديالكتيك الدين والسياسة في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث	21
المطلب الأول: ماهية الدين والسياسة	22
المطلب الثاني:العودة إلى الدين بالعودة إلى السياسة (الربط بين الدين والدولة)	24
المطلب الثالث: عثمانية الدولة(الفصل بين الدين والدولة)	28
خلاصة الفصل	37
الفصل الثاني: الخطاب الديني عند "سبينوزا"	38
تمهيد الفصل	40
المبحث الأول: فلسفة "سبينوزا"	41
المطلب الأول: سيرته الذاتية	41
المطلب الثاني: فلسفته ومنهجه	49

المطلب الثالث: جوهر الدين عند "سبينوزا"	52
المبحث الثاني: إشكالية تأويل النص الديني	54
المطلب الأول: إرهاصات ميلاد التأويل	54
المطلب الثاني: مبررات التأويل السبينوزي وحدوده	57
المطلب الثالث: ديالكتيك الدين والفلسفة عند "سبينوزا"	59
المبحث الثالث: نقد النص المقدس	61
المطلب الأول: مناهج سبينوزا في النقد	61
المطلب الثاني: شروط قراءة النص المقدس	75
المطلب الثالث: موقفه من النبوة والمعجزات	77
المطلب الرابع: فكرة الله والطبيعة	80
خلاصة الفصل	83
الفصل الثالث: الخطاب السياسي "السبينوزي"	84
تمهيد الفصل.	86
المبحث الأول:إرهاصات ظهور السياسة	87
المطلب الأول: فكرة الدولة العلمانية	87
المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في أوروبا	88
المطلب الثالث: الأوضاع السياسة لدولة العبرانيين	90
المبحث الثاني: الفلسفة السياسية في فكر" سبينوزا"	93
المطلب الأول: أهمية الدولة	93
المطلب الثاني: القانون السياسي والقانون الإلهي	98
المطلب الثالث: الحق الطبيعي والحق السياسي	102
المطلب الرابع:شروط قيام المجتمع الإنساني	105

المبحث الثالث: البعد الإيتيقي لعلاقة الدين والسياسة	107
المطلب الأول: الأخلاق عند "سبينوزا"	107
المطلب الثاني: الخير والشر	112
المطلب الثالث:نقد البناء الأخلاقي اللاهوتي	113
المطلب الرابع: نقد المؤسسة اللاهوتية في الشأن السياسي	114
خلاصة الفصل	118
الخاتمة	119
الملاحق	123
تثبيت المصطلحات	124
قائمة المصادر والمراجع	126
فهرس المحتويات	137
ملخص الدراسة	141